جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الآداب
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

الدلالات التاريخية للهجة الدنقلاوية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

إعداد : عوض أحمد حسين محمد

إشراف : أ . د . عمر حاج الزاكي

ملخص البحث

تاريخ اللغات السودانية القديمة يشوبه الغموض خاصة في فتراته الأولى نسبة لقلة المعلومات المتوفرة عنها حتى الآن لدى الباحثين ، وإن كانت هنالك دلائل تشير إلى وجود لغات محلية كان يتحدث بها سواد الناس في السودان القديم منذ القرن الثامن قبل الميلاد إلى جانب اللغة المصرية القديمة والتي كانت اللغة الرسمية لملوك نبتة .

وفي الفترة المروية ظهرت أول لغة سودانية مكتوبة ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد أطلق عليها اسم اللغة المروية ، ثم حلت محلها اللغة النوبية القديمة وأصبحت لغة الممالك النوبية في القرن السادس للميلاد ، وقد عرفت هذه اللغة طريقها إلى الكتابة بصورة رسمية في القرن الحادي عشر الميلادي واستمرت الكتابة بها حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، ثم أخذت هذه اللغة في الانحسار نتيجة للهجرات العربية إلى بلاد النوبة وتولدت عنها عدة لهجات متحدثة إلى اليوم في شمال السودان وبعض مناطق كردفان ودارفور .

وقد تطرق الباحث لهذه الموضوعات بشيء من التفصيل في الفصلين الأول والثاني من هذا البحث إلى جانب الإشارة إلى علاقة اللهجة الدنقلاوية وهي إحدى اللهجات النوبية النيلية بهذه اللغات .

أما الفصلان الثالث والرابع فمحور الحديث فيهما يدور حول اللهجات النوبية وعلاقتها باللهجة الدنقلاوية والمدلولات التاريخية لانتشارها الجغرافي وعن العلاقات العرقية والثقافية بين المجموعات التي تتحدث بهذه اللهجات .

وفي الخاتمة أورد الباحث أهم النتائج التي خلص إليها من هذه الدراسة .

Abstract

The history of the ancient Sudanese Language is still unknown to the scholars due to the few amount of the available information, Although, there are some writings that confirm the existence of languages spoken by the public in Sudan since the 8th century B.C,the ancient Egyption Language which was the official language of Napatian kingdoms.

During an unknown date between the 2nd and the 3rd century B.C the written Sudanese language appeared and was named the Meroitic language and then the old Nubian language became the official language of the Nubian Kingdoms in the 6th century A.D.

The researcher treated the above mentioned subjects in details in chapter One and chapter Two, in addition to that he explains the relation between the Dongolawise dialects and ancient Sudanese language.

In the third and fourth chapters the researcher tackled theNubian dialects and their relation with the Dongolawise dialects and their historical denotations of their geographical diffusion, and about the ethnical and cultural relations between the groups which speak these dialects.

Finally , the researcher give a conclusion of the most important results of this research .

اختصارات

(أ) اختصارات باللغة العربية :

- ب- ن : بدون معلومات نشر
- ب – ت : بدون تاريخ نشر
- ص : رقم الصفح
- ط : رقم الطبعة
- ع : رقم العدد

(ب) اختصارات باللغة الإنجليزية :

- **J . E . A** : Journal of Egyptian Archaeology
- **S . N . R** : Sudan Notes and Records
- **Ibid** : At the same place
- **P** : The page number
- **Op.cit (Opus citatum)** : the works cited (above)

قائمة المحتويات

الفصل الرابع
العلاقة بين المجموعات التي تتحدث باللهجات النوبية

جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الآداب
قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

الدلالات التاريخية للهجة الدنقلاوية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

٦:٦٥

إعداد : عوض أحمد حسين محمد

إشراف : أ . د . عمر حاج الزاكي



قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

سورة الحجرات : الآية (١٣)

إهـــداء

إلـــى أهلـــي..

الذين أرضعوني عشق الأرض وحب التراث

أهدي هذا البحث،،،

شكر وتقدير

يطيب لي في هذه الصفحة أن أتوجه بكل آيات الشكر والتقدير إلـــى كـل المؤسسات والأشخاص الذين ساعدوا في إعـــداد هذا البحث ، وأخص بـــالذكر منهم / الأستاذ الدكتور عمر حاج الزاكي ، عميد كلية التربية الذي أشرف علـــى هذه الدراسة ولم يبخل على بتوجيهاته وزمنه في متابعة مراحل هذا لبحـــث فلـــه مني الشكر والتقدير .

كما أتقدم بخالص شكري لإدارة جامعة أم درمان الإســـلامية ، وللأخـــوة العاملين بمكتبة السودان ، جامعة الخرطوم .

وشكري موصول أيضاً لأخي شمس الدين أحمد حسين ، ولكل الأخوة الذين أعانوني في إعداد هذا البحث .

اختصارات

(أ) اختصارات باللغة العربية :

- ب– ن : بدون معلومات نشر
- ب – ت : بدون تاريخ نشر
- ص : رقم الصفح
- ط : رقم الطبعة
- ع : رقم العدد

(ب) اختصارات باللغة الإنجليزية :

- **J . E . A** : Journal of Egyptian Archaeology
- **S . N . R** : Sudan Notes and Records
- **Ibid** : At the same place
- **P** : The page number
- **Op.cit (Opus citatum)** : the works cited (above)

قائمة المحتويات

الفصل الرابع
العلاقة بين المجموعات التي تتحدث باللهجات النوبية

ملخص البحث

تاريخ اللغات السودانية القديمة يشوبه الغموض خاصة في فتراته الأولى نسبة لقلة المعلومات المتوفرة عنها حتى الآن لدى الباحثين ، وإن كانت هنالك دلائل تشير إلى وجود لغات محلية كان يتحدث بها سواد الناس في السودان القديم منذ القرن الثامن قبل الميلاد إلى جانب اللغة المصرية القديمة والتي كانت اللغة الرسمية لملوك نبتة .

وفي الفترة المروية ظهرت أول لغة سودانية مكتوبة ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد أطلق عليها اسم اللغة المروية ، ثم حلت محلها اللغة النوبية القديمة وأصبحت لغة الممالك النوبية في القرن السادس للميلاد ، وقد عرفت هذه اللغة طريقها إلى الكتابة بصورة رسمية في القرن الحادي عشر الميلادي واستمرت الكتابة بها حتى القرن الثالث عشر الميلادي ، ثم أخذت هذه اللغة في الانحسار نتيجة للهجرات العربية إلى بلاد النوبة وتولدت عنها عدة لهجات متحدثة إلى اليوم في شمال السودان وبعض مناطق كردفان ودارفور .

وقد تطرق الباحث لهذه الموضوعات بشيء من التفصيل في الفصلين الأول والثاني من هذا البحث إلى جانب الإشارة إلى علاقة اللهجة الدنقلاوية وهي إحدى اللهجات النوبية النيلية بهذه اللغات .

أما الفصلان الثالث والرابع فمحور الحديث فيهما يدور حول اللهجات النوبية وعلاقتها باللهجة الدنقلاوية والمدلولات التاريخية لانتشارها الجغرافي وعن العلاقات العرقية والثقافية بين المجموعات التي تتحدث بهذه اللهجات .

وفي الخاتمة أورد الباحث أهم النتائج التي خلص إليها من هذه الدراسة .

Abstract

The history of the ancient Sudanese Language is still unknown to the scholars due to the few amount of the available information, Although, there are some writings that confirm the existence of languages spoken by the public in Sudan since the 8th century B.C,the ancient Egyption Language which was the official language of Napatian kingdoms.

During an unknown date between the 2nd and the 3rd century B.C the written Sudanese language appeared and was named the Meroitic language and then the old Nubian language became the official language of the Nubian Kingdoms in the 6th century A.D.

The researcher treated the above mentioned subjects in details in chapter One and chapter Two, in addition to that he explains the relation between the Dongolawise dialects and ancient Sudanese language.

In the third and fourth chapters the researcher tackled theNubian dialects and their relation with the Dongolawise dialects and their historical denotations of their geographical diffusion, and about the ethnical and cultural relations between the groups which speak these dialects.

Finally , the researcher give a conclusion of the most important results of this research .

المقدمة

الدراسات اللغوية من المقومات المهمة التي تساعد في البحث عن الآثار الحضارية والثقافية لأي أمة لأن اللغة هي مخزونها التراثي والثقافي وأداتها التاريخية التي تعكس تطورها ونموها اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، ولأهمية هذا الجانب في دراسة التاريخ ولج من خلاله الباحث بموضوعه الذي اختار له عنوان الدلالات التاريخية للهجة الدنقلاوية *.

أسباب اختيار موضوع البحث :

هنالك أسباب وأهداف عديدة تم من أجلها القيام بهذا البحث واختيار موضوعه منها :

- أن اللهجة الدنقلاوية تماثل اللهجة الكنزية بجنوب مصر والأكثر شبهاً بلهجات الأجانج في جبال النوبا ولهجة البرقيد في دارفور أو بمعنى آخر لأن اللهجة الدنقلاوية هي القاسم المشترك بين هذه اللهجات ، كما أن هنالك ميل كبير لدى الباحث بان اللهجة الدنقلاوية هي الأقرب الي اللغة النوبية القديمة .
- الرغبة العلمية للبحث في هذا الموضوع وخاصة أن الباحث يجيد هذه اللهجة بحكم انحداره من الأسرة الدنقلاوية ، وكذلك لفت نظر الباحثين لتاريخ السودان إلى هذا الميدان البحثي المهم .
- أن هذا الموضوع يبحث عن الجذور التاريخية والعرقية بين بعض المجموعات السودانية ذات الأصول النوبية في شمال السودان والتي تتحدث باللهجات النوبية ومجموعات أخري تتحدث بلهجات ذات صلة باللغة النوبية موجودة في بعض مناطق جبال النوبا بكردفان ودارفور مما قد يساهم في ارساء مفاهيم الهوية السودانية .
- ندرة الكتابات حول هذا الموضوع مما قد يجعل هذا البحث إضافة موجبة للمكتبات السودانية .

---

* من الناحية اللغوية فإن نسبة اللهجة إلى دنقلا هي اللهجة الدنقلية وهو نفس النهج الذي سار عليه محمد متولى بدر في كتابه اللغة النوبية ولكننا آثرنا استعمال ما هو شائع في السودان في هذا البحث وهو اللهجة الدنقلاوية .

أسئلة البحث :

حظيت اللغة النوبية القديمة * ولهجاتها بعدد من الدراسات إلا أن الغموض مازال يكتنف بعض جوانبها خاصة الأسئلة المتعلقة بالوضع الجغرافي للهجات النوبية الحالية نسبة لانتشارها في مناطق جغرافية متعددة فبجانب اللهجات النوبية النيلية بشمال السودان والتي تمثلها لهجات الكنوز والمحس والدناقلة هنالك لهجات ذات صلة باللغة النوبية في مناطق خارج وطنها الذي حددناه ونعني بذلك اللهجات النوبية الموجودة في بعض مناطق جبال النوبا في كردفان وفي دارفور ، الأمر الذي يجعلنا نطرح بعض الأسئلة حول هذا الموضوع أبرزها :-

- هل اللهجة الدنقلاوية هي أقرب اللهجات النوبية إلى اللغة النوبية القديمة؟
- وإذا كانت كذلك فما علاقتها باللغات السودانية القديمة ؟
- نلاحظ في اللهجات النوبية النيلية تماثل اللهجتين الكنزية بجنوب مصر والدنقلاوية في منطقة دنقلا ، بينما تختلف عنهما اللهجة المحسية بالرغم من أنها تقع جغرافياً في وسطهما ، كيف نفسر هذا الاختلاف ؟
- وما سر اختلاف هذه اللهجات النوبية وتباينها جغرافياً ؟
- وهل هناك علاقة عرقية وثقافية بين المجموعات التي تتحدث بها في كل من شمال السودان وجبال النوبا بكردفان ودارفور ؟

المصادر والمراجع :

ولإيجاد تفسيرات تاريخية مقبولة للأسئلة المذكورة آنفاً استعان الباحث بمصادر ومراجع عديدة شملت المصادر القديمة ، المصادر العربية ، المراجع الإنجليزية والعربية والسودانية ، الرسائل الجامعية ، الدوريات المتخصصة ، إضافة للمقابلات الشخصية والزيارات الميدانية وكلها موضحة في حواشي البحث ومفصلة في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث ، ولعل أهم المراجع التي تناولت تاريخ اللغات السودانية كتاب الدكتور عبد القادر محمود عبدالله اللغة المروية إلى جانب كتابي الدكتور محمد متولي بدر اللغة النوبية وكتاب الدكتور

* وهي لغة الممالك النوبية التي قامت في وادي النيل في القرن السادس الميلادي .

مختار خليل كبارة اللغة النوبية كيف نكتبها ، كما استفاد الباحث أيضا من كتابات الرحالة والإداريين الأوروبيين في فترة الحكم الثنائي حول اللهجات النوبية في غرب السودان والتي نشرت في مجلة السودان في رسائل ومدونات (Sudan Notes and Records) وكذلك بعض المقالات المنشورة في الدوريات السودانية .

منهج البحث :

أما منهجياً فتقيد الباحث في هذه الدراسة بأصول المنهج التاريخي وهو افضل المناهج لدراسة أي موضوع تاريخي لأنه يقوم علي الوصف والمقارنة والتحليل من أجل الثبات حقائق معينة والخروج باستنتاجات معقولة ، ولما كان هذا البحث يهتم بتاريخ اللغة وليس البناء اللغوي وتفسيره استعان الباحث ببعض مناهج البحث اللغوي التي تناسب موضوعه مثل المنهج اللغوي المقارن الذي يعتمد علي بيان العلاقات التي تربط اللغات المكونة لأسرة لغوية واحدة سواء تاريخية كانت تلك العلاقة أم صوتية أم صرفية أم دلالية .

خطة البحث :

كانت الخطة تقتضي من الباحث إلى جانب المعلومات التي جمعها من المصادر والمراجع المختلفة زيارة ميدانية للمناطق التي تتحدث فيها باللهجات النوبية ألا أنه لم يتمكن من ذلك لعدة صعوبات واجهته منها عدم توفر وسائل مواصلات سهلة لتلك المناطق إضافة إلى أن مناطق جبال النوبا تشهد عدم استقرار سياسي نسبة للتمرد ، لهذه الأسباب فضل الباحث إجراء مقابلات شخصية مع ببناء تلك المناطق بالعاصمة القومية الخرطوم .

ولمعالجة موضوع هذا البحث تطلب تقسيم محتوياته إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي :

الفصل الأول عن النوبة أصولهم وأوطانهم ، تناول الباحث في هذا الفصل أشهر الأسماء التي عرف بها السودان القديم أو بعض أجزائه ثم عرج للأصول العرقية للنوبيين وأوطانهم الحالية وأسباب إنتشارهم في أماكن أخرى .

عالج الباحث في الفصل الثاني الظروف التاريخية والاجتماعية والجغرافية التي نشأت فيها اللغات السودانية القديمة ثم تحدث عن أصل اللغة النوبية القديمة وأهم مراحل تطورها وصلتها باللهجة الدنقلاوية، كما تناول أيضا علاقة اللهجة الدنقلاوية باللغات السودانية القديمة .

أما الفصل الثالث عرض الباحث فيه الانتشار الجغرافي للهجات النوبية في وادي النيل وغرب السودان وصلة اللهجة الدنقلاوية باللهجات النوبية الأخرى ، ثم عقد مقارنات في بعض المفردات بين هذه اللهجات .

وانتقل الباحث في الفصل الرابع والأخير الي شرح المدلولات التاريخية للتباين الجغرافي للهجات النوبية والعلاقات العرقية بين المجموعات التي تتحدث بها متخذاً من اللهجة الدنقلاوية عمدة لهذا الشرح إلى جانب إبراز أهم الخصائص الثقافية المشتركة بين هذه المجموعات .

وفي الخاتمة أورد الباحث ما توصل إليه من نتائج من خلال هذه الدراسة وبعض التوصيات التي رأي أنها ضرورية .

وأخيراً يأمل الباحث أن يكون هذا البحث إضافة حقيقية لما كتب في هذا الموضوع وعوناً للدارسين من بعده .

تمهيد :

خلال مراحل التاريخ القديم تعرض السودان القديم والمقصود به سودان وادي النيل لهجرات متعددة وفي فترات زمنية متعاقبة غيرت إلى حد ما من عناصر سكانه ، وقامت في مناطقه الفسيحة عدة دويلات، وحملت المنطقة أيضاً عدة مسميات على مر الزمان [١] ، وجدت معظمها في الكتابات المصرية ، والملاحظ أن هذه التسميات كانت تطلق على مناطق جغرافية محددة من سودان وادي النيل[٢] ، ولكل اسم من هذه الأسماء دلالاته التاريخية والحضارية وسنعرض لأشهر أسماء السودان القديم ونعني به سودان وادي النيل حتى نقف على اسم بلاد النوبة وهو الاسم الذي عرف به السودان في العصور الوسطى ، ثم نتناول الدلالات العرقية لهذا الاسم لنعطي خلفية عن الأصول العرقية للمجموعات النوبية بشمال السودان ومنها الدناقلة وأوطانهم الحالية وأسباب إنتشارهم في مناطق أخرى .

أشهر أسماء السودان القديم :

من أشهر الأسماء التي عرف بها السودان :

تا - سيتي (Ta-Seti) :

تتكون كلمة تاسيتي من مقطعين (تا) و (سيتي) وتعني في اللغة المصرية القديمة أرض أهل الأقواس ، وكتبت بالإشارة الدالة على الأقواس[٣] ، ويعتبر هذا الاسم هو أقدم ما عرف به السودان القديم ، حيث يرجع إلى عصر الملكين المصريين جر ودوازيت (داواداجي) ثالث ورابع ملوك الأسرة المصرية الأولي (٢٩٠٠ - ٣١٠٠ ق.م)[٤] .

---

(١) محمد إبراهيم بكر " العلاقات الحضارية بين السودان ومصر في العالم القديم " دراسات سودانية ، تصدرها شعبة أبحاث السودان بجامعة الخرطوم ، ع٢ ، يونيو ١٩٦٩م ، ص٦٣ .

(٢) على أحمد قسم السيد " تاريخ وجغرافية بعض بلاد النوبة من خلال النقوش المصرية القديمة والمتوسطة " دراسات سودانية ، ع١-٢ مزدوج ، مج٩ ، ديسمبر ، ١٩٨٩م ص ٩٦_ ١٠٦.

(٣) محمد إبراهيم بكر ، تاريخ السودان القديم (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٨م) ، ص٣٧.

(٤) نجم الدين محمد شريف ، " النوبة قبل نباتا (٣١٠٠ - ٧٥٠ ق.م) " في تاريخ إفريقيا العام ، ج٢ ، (إيطاليا : أو نتريال للطباعة والنشر ، ١٩٨٥) ، أشرف : جمال مختار ، ص٢٥٠ .

أما عن الإطار الجغرافي لهذا الاسم فقد اعتقد البعض أن تاسيتي كانت تطلق على أول مقاطعة مصرية من مقاطعات الوجه القبلي من جهة الجنوب ، ولكن الوثائق أثبتت خطأ هذا الاعتقاد حيث عرفت المنطقة الواقعة جنوب مصر إلى الشلال الثالث في عهد الأسرة الثامنة عشر ببلاد تاسيتي[١] .

تا – نحسي (Ta-Nehesi) :

ومن الأسماء التي أطلقت على السودان القديم اسم تانحسي وورد ذكر هذا الاسم في نقش حجر بالرمو* الذي يخبرنا أن قوات الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة قد غزت نحيسو عام (٢٦٨٨٠ ق.م) ، ثم تكرر ذكر هذا الاسم في عهد الملك خوفو بن سنفرو ثاني ملوك الأسرة المصرية الخامسة [٢] .

ويزعم شوقي الجمل أن كلمة تا – نحسي تعني أرض السود [٣] .

ويرى البعض أن كلمة نحسي لم تكن تحمل في البداية أي دلالة عرقية وعندما دخل الزنوج لأول مرة بلاد السودان القديم في زمن الأسرة الثانية عشرة واستوطنوا بعض أجزائها كانوا يسمون بنحسي ثم أخذ هذا الاسم شيئاً فشيئاً يحملى المعني الخاص بالزنوج[٤].

ويرجح الدكتور حاكم أن كلمة نحسي ربما جاء منها اسم المحس وهو الاسم الذي يطلق الآن على المجموعة النوبية بشمال السودان [٥] .

كوش (Kush) :

اسم كوش من أشهر الأسماء التي عرف بها السودان القديم وظهر هذا الاسم لأول مرة في نصوص الدولة المصرية الوسطي ، وكانت تكتب (كاش- كش أو كس) وقد استعملت للإشارة لإحدى قبائل السودان التي كانت تستوطن

---

(١) سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١٠ ، " القاهرة ، ١٩٥٥م " ، ص٧٩ .

* وسمي هذا الاسم لأن الجزء الأكبر منه موجود ببالرمو عاصمة صقلية . " أنظر : شوقي الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقته بمصر من أقدم العصور للوقت الحاضر ، ج (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩م) ، ص٢ ، هامش ٣".

(٢) Arkel. A. J, Ahistory of Sudan from the Earliest to 1821, (London, 1955), P. 41.

(٣) شوقي الجمل ، مرجع سابق ، ص٧.

(٤) مصطفي محمد مسعد ، الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ، (القاهرة ١٩٦٢م) ، ص٦.

(٥) أحمد محمد على حاكم " النوبة وتاريخ السودان القديم " ، كلية الآداب ، تصدرها جامعة الخرطوم ، ع٤، يوليو ١٩٨١م ، ص٨٤.

المنطقة الواقعة جنوب الشلال الثالث ثم صار هذا الاسم علماً على كل البلاد التي تقع إلى الجنوب من الشلال الأول[١] ، وورد أيضاً اسم كوش في كتاب العهد القديم: "وسمع عن ترهاقة ملك كوش قولاً :"قد خرج ليحاربك "." [٢]، إشارة للحروب التي دارت بين الكوشيين والآشوريين في زمن حكم الملك تهارقا (٦٩٠ - ٦٥٦ ق.م)[٣]، كما أطلق الآشوريون في القرن السابع قبل الميلاد اسم كوش على كل البلاد الواقعة جنوب الشلال الأول وأيضاً عرفت هذه المنطقة عند الفرس بنفس هذا الاسم[٤] .

وقد استخدم هذا الاسم حتى القرن الرابع الميلادي والدليل على ذلك وروده في لوحة الملك الأكسومي عيزانا الذي أدعي سيطرته على كاس (كوش) [٥] ، مما يدل على قدم وأصالة اسم كوش وارتباطه بالسودانيين القدماء ، ولكن مع ذلك فإن المسميات التي اقترنت بالتقسيم الزمني لحضارات السودان مثل نبتيين ومرويين نسبة إلى العاصمتين نبتة ومروي لم تسقط عند كثير من الكتاب بل استخدمت جنبا إلى جنب مع اسم كوش فيقال كوشيو فترة نبتة وكوشيو فترة مروي ، وعند الإشارة إلى مملكة كوش يقصد الفترتين النبتية والمروية[٦] .

النوبة (NOBIA) :

عرف السودان في العصور الوسطي باسم بلاد النوبة[٧] ، وما زال هذا الاسم يرد في كثير من المراجع الحديثة ، وفي الفترة الأخيرة صار يستعمل اكثر للإشارة لأهل السودان في العصور المبكرة[٨] .

وبالرغم من شهرة هذا الاسم وترديده إلى اليوم فقد اختلف الباحثون في أصل كلمة نوبة واشتقاقها فالبعض ومنهم برستيد أرجعه إلى الأصل المصري

---

(١) علي أحمد قسم السيد ، مرجع سابق ، ص١٠٣ .

(٢) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، اشيعاء ٣٧-٣٩.

(٣) حسن سليمان محمود ، جلال جاويش ، تاريخ السودان في العصور القديمة ، (القاهرة : مكتبة مصر) ، ص١٢١-١٢٢.

(٤) محمد على حاكم ، مرجع سابق ، ص٨٥ .

(٥) محمد إبراهيم بكر ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص٨٥ .

(٦) سامية بشير دفع الله " التعريف بتاريخ السودان القديم " دراسات سودانية ، يصدرها معهد الدراسات السودانية ، ع ، مج١٠ ، أبريل ١٩٩٠م ، ص٨١.

(٧) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص٦.

(٨) سامية بشير دفع الله ١٩٩٠م ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

القديم باعتباره مشتقاً من كلمة نوب (Nub) أو نوبو (Nūbu) المصرية القديمة والتي تعني الذهب* ووردت هذه الكلمة في كتابات الملك امنحتوت الأول أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٩٦٢م ق.م)[١]. وتعتقد الدكتورة سامية بشير دفع الله بضعف هذا الرأي لأنه لو كان الأمر كما ذكر لوجدت إشارة في الكتابات المصرية القديمة إلى بلاد النوبة (تا - نوب) ولكن هذا اللفظ غير موجود في المعروف لدينا من الكتابات[٢] .

وربط ماكمايكل (MacMicheal) بين اسم النوبة وكلمتي نبد (Nebed) المصرية والتي وردت في نقش الملك تحتمس الأول أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ووصف بها قوماً ممشوطي الشعر يقطنون جنوب الشلال الثالث وكلمة نوربت (Norbot) القبطية وتعني يضفر أو يمشط[٣].

وهناك رأي آخر تبناه الشاطر بصيلي يرجع أصل هذه الكلمة إلى اللفظة اليونانية (Nimeidi) ومعناها الرعاة أو الجوالة ، فأطلق الرومان والذين كانوا يسيطرون على منطقة شمال أفريقيا وشمالها الغربي اسم النوماديين (Numidian) ، أي البدو ، على المجموعات البدوية التي جاءت إلى وادي النيل في القرن الثالث الميلادي ، ويرى أن نومادي (Nemadi) كان المصدر للفظة نوبة مع الأخذ بعين الاعتبار أن استبدال حرف بآخر أمر شائع في كل اللهجات الأفريقية[٤] .

غير أن معظم الباحثين يرون أن أول ذكر لاسم النوبة كعلم لشعب جاء في القرن الثالث قبل الميلاد[٥] ، وورد هذا الاسم في المصادر المختلفة بأربع صيغ على قدر كبير من الشبه وهي النوباوي (Noubae) ، النوباديا (Nobudes) ، النوباتيا أو النوباطيا (Nobatai) والنوبة (Nobia) حتى استقرت على الصيغة

---

* هذه الكلمة ما زالت تستعمل إلى اليوم عند النوبيين بشمال السودان وبنفس المعنى وأن اختلفت قليلاً في القيمة الصوتية حيث تنطق بلهجة الدناقلة نوبري (Nubry) ، وبلهجة المحس (Nab) .

(١) MacMicheal. H. A, Ahistory of Arabs in the Sudan, ed2 (Edinburgh, 1967), P, 12.

(٢) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٠ ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

(٣) MacMicheal. H. A, Opcit, P, 12.

(٤) الشاطر بصيلي عبد الجليل ، الشاطر بصيلي عبد الجليل ، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للميلاد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م) مرجع سابق ، ص٦٣ .

(٥) مصطفى محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص٦ .

الأخيرة في العصور الوسطى ، ويرجع الفضل في أنتشار اسم بلاد النوبة للكتاب والمؤرخين العرب[١]، وسنتتبع في الصفحات التالية المدلولات العرقية لهذا الاسم .

أصول النوبة :

كان للموقع الجغرافي لبلاد النوبة أثرٌ كبيرٌ في تكوينه البشري فمن الشمال عن طريق برزخ السويس دخلت الهجرات السامية وانتشرت من مصر جنوباً نحو السودان منذ اقدم العصور ، وعن طريق البحر الأحمر كانت الهجرات من الجزيرة العربية إلى السودان مباشرة ، وكان نهر النيل نفسه والذي ربط أفريقيا بالبحر الأبيض المتوسط طريقاً هاماً تتبعه الهجرات البشرية في توغلها شمالاً وجنوباً[٢] ، كذلك لعبت الصحراء الواقعة في شرقي النيل وغربيهِ دوراً كبيراً في ربط أجزاء المنطقة ، لأن الهجرات البشرية أثناء تحركها كانت تتبع في طريقها الوديان التي توصلها إلى النيل ، مع الوضع في الاعتبار أن مناخ المنطقة كان أقل جفافاً وقسوة في السابق[٣] ، وتتميز هذه المنطقة أيضاً بمقدرتها الكبيرة على امتصاص العناصر التي دخلتها من فترة لأخرى وعلى صهرها صهراً تاماً حتى تندمج في سائر السكان[٤] ، لذا يري بعض العلماء أن هذه المنطقة منطقة التقاء للسلالات البشرية[٥] وخاصة العرقين القوقازي من شمال أفريقيا والزنجي من وسط أفريقيا وان كان الاختلاف قائماً بينهم حول نوع الجنس الأول الذي كان موجوداً في المنطقة[٦] .

---

(١) أحمد محمد على حاكم ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(٢) محمد محمود الصياد ، محمد عبد الغنى سعودي ، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري ، (القاهرة ، ١٩٦٦م) ، ص١٥١-١٥٢.

(٣) نفس المرجع ، ص١٥٢ .

(٤) محمد عوض محمد ، السودان الشمالي سكانه وقبائله ، ط٢ (القاهرة: لجنة التأليف والنشر، ١٩٥٦م) ، ص٢٨٤ .

(٥) عبد العزيز كامل ، دراسات في الجغرافية البشرية للسودان (مصر : دار المعارف ، ١٩٧٢م) ، ص ١٠٢ .

(٦) سامية بشير دفع الله ،تاريخ الحضارات السودانية منذ اقدم العصور ال قيام مملكة نبتة (الخرطوم :دار هايل للطباعة والنشر والتغليف ،١٩٩٨م) ص١٩٦.

ويرى محمد عوض أن سكان بلاد النوبة كانوا من نفس السلالة التي ينتمي إليها المصريون القدماء، وأنهم بمثابة الأساس الذي بني عليه شعب المنطقة من الناحية السلالية[1].

وتشير بعض الدراسات إلى أن الزنوج بدءوا يدخلون بلاد النوبة مع بدايات الأسرة المصرية الثانية عشرة (١٧٨٦ - ١٩٩١ ق . م)[2] ، وشهدت القرون الأخيرة لمملكة مروي زحف عناصر زنجية من الجنوب نحو وادي النيل وظهر ذلك جلياً من خلال نتائج الأبحاث الأثرية لمقابر بلانة والقسطل وفركة والتي عرفت بمقابر المجموعة الثقافية (×) (٢٠٠ - ٥٥٠ ق.م)[3] .

وقد فسر كيروان وجود الخصائص الزنجية في مقابر المجموعة(X) بحدوث هجرات زنجية من الجنوب استقر أصحابها في وادي النيل الأوسط واختلطوا بسكانها[4]، ويرى أن هؤلاء المهاجرين هم المجموعات التي أطلق عليها اسم النوبيين[5].

ولكن من هم هؤلاء النوبيون ؟ ومن أين جاءوا؟ وهل هم ينتمون لمجموعة عرقية واحدة ، أم إلى مجموعات عرقية مختلفة ؟

جاء أول ذكر للنوباي في القرن الثالث قبل الميلاد في كتابات المؤرخ اليوناني أرتوثينس (Eratostheries) الذي ذكر بأنهم أمة كثيفة يقطنون الضفة الغربية للنيل ، وتمتد أوطانهم من شمال مروى إلى مدينة الدبة الحالية ، ويمثلون وحدات سياسية مستغلة عن السلطة المروية ، وقد نقله عنه المؤرخ الروماني سترابون (Starbo) في بدايات القرن الثاني للميلاد في كتابه الجغرافيا [6] ، ثم أخذت هذه المجموعات في الانتشار السريع شمالاً وملكوا ضفتي النيل شرقاً

---

(1) محمد عوض محمد ، مرجع سابق ؛ ص٣٠١ .

(٢) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق . ص٨ .

(٣) Kirwan, L. P, The Oxford University Excavations at Firka (London, 1939) P, 36.

(4) Kirwan, L. P, Firka,1939 , Opcit, P. 36.

(5) Kirwan. L. P, The Oxford University Excavations in Nubia, 1934-1935, J. E. A. Vol XXI, Pa11, 1935, P197.

(6) Starbo, The Gogrephy Of Starbo, Trans H. L, Gones, ed2, Vol VIII, (London, 1959) , P 7.
انظر : سامية بشير دفع الله ، " النوبة .. الأصل والتاريخ " دراسات إفريقية يصدرها مركز البحوث والترجمة بجامعة أفريقيا العالمية ، ع١٤ ، يناير ١٩٩٦م ، ص ١١٧ .

وغرباً وكان مركزهم جزيرة تنوبسس *، وهذا ما أكده بلينيوس الروماني أحد كتاب القرن الأول الميلادي(١) .

وذكر الجغرافي بطليموس (١٥٠ ق.م) أنهم يعيشون على الضفة الغربية للنيل وفي جزيرة مروى ، وأشار اجاثيماروس (Agathemenerus) الذي عاش في القرن الثالث الميلادي بان النوبيين يملكون ضفتي النيل(٢) .

ويبدو من أقوال هؤلاء المؤرخين أن هذه المجموعات جاءت إلى وادي النيل من جهة الجنوب الغربي منذ الفترة التي تسبق القرن الثالث قبل الميلاد لأسباب مجهولة ، ثم ازدادت أعدادهم وأخذوا في الانتشار السريع شمالاً ، ومارسوا في المناطق التي استوطنوها حياتهم السياسية على غرار تنظيماتهم التي كانت قائمة في أوطانهم الأصلية فأنشأوا فيها العديد من الممالك الصغيرة أو المشيخات(٣) ، ويعضد هذا الفرض النص الذي كتب باللغة المروية، (Qore nobole) وتعني ملك النوبيين ، على تمثال من البرونز لرجل مقيد إلى الخلف يؤرخ للقرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول الميلادي (٤) ، مما يشير إلى أن هذه المجموعات كان لها نظام سياسي مستقل عن المرويين على رأسه ملك .

ثم جاءت موجة أخرى من الهجرات نحو بلاد النوبة من جهة الغرب من واحة الخارجة وتم ذلك في الفترة ما بين عامي (٢٨٤ - ٢٩٦م) عندما إستدعاهم الأمبراطور الروماني دقليانوس للاستقرار في منطقة النوبة السفلي ليدفعوا عنه خطر البليميين وسماهم بروكبيوس النباطيين (٥) .

وفي منتصف القرن الرابع الميلادي ورد ذكر النوبة في نقش الملك الاكسومي عيزانا الذي قام بغزو وادي النيل وذلك لردع النوبيين الذين عبروا النيل الأزرق ونهر النيل ونهر عطبرة وأغاروا على قبائل المنقرتو والباريا

---

* يرى مصطفى محمد مسعد أن تنوبسس ربما يقصد بها بنوبس في جزيرة أرقو (انظر: مصطفى محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص١٢، هامش ٧).

(١) الأب . ج .فانتيني ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، (الخرطوم ، ١٩٧٨م) ، ص٢٨ .

(٢) Kirwan. L. P, Asurvoy Of Nubians Origins, N. S. R, Vol XX, Pa 1. 1937, P 46.

(٣) سامية بشير ،١٩٩٦م ، مرجع سابق ، ص١٢١ .

(٤) Steffen, W, Africa In Antiquity, (The Brooklyn Museum, 1978) Pa 11, P, 218.

(٥) Procopius, History of Wars, Trans H. B, Dewing, (London, 1961) P, 185.

والخاسة وأخذوا يشكلون خطراً على حدود مملكته ، وقد نجح عيزانا في هزيمة هؤلاء النوبيين واصفا إياهم بالسواد وتعقبهم شمالاً حتى وصل حدود النوبة الحمر عندها قرر الرجوع ، وشيد نصباً تذكارياً عند ملتقي نهر عطبرة بالنيل خلد فيه انتصاراته على النوبيين ، وهو النصب الذي عرف بنقش عيزانا[١]

ونلاحظ مما جاء في نقش عيزانا الأتي :

اولاً : أطلق عيزانا لأول مرة اسم النوبة على جماعتين في وادي النيل ، الأولى النوبة السود وهي الجماعة التي حاربها ، والثانية النوبة الحمر[٢] ، ويبدو أن هؤلاء هم أحفاد المهاجرين الأوائل الذين تغيرت سحنتهم قليلاً نتيجة لاختلاطهم بالمرويين أو ببعض العناصر القوقازية التي كانت تفد إلى منطقة شمال السودان وربما وصفهم عيزانا بالحمر للون بشرتهم الأفتح نسبياً [٣] .

ثانياً : ذكر النوبة ضمن مجموعة من القبائل كانت تسكن المنطقة مثل المانقرتو، الهاسا ، الباريا ، مما يشير إلى أن اسم النوبة وبصوره المختلفة ظل يطلق طيلة الفترات السابقة على جماعة لها خصائصها الثقافية والعرقية [٤].

وكذلك أشار المؤرخ الإغريقي المبيوردوروس (٤٠٧-٤٢٥م) إلى تحالف بين البليميين والنباطيين يشنون بموجبه غارات على حدود مصر الجنوبية بعد ما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية بما فيها مصر[٥] .

وتشير بردية ترجع إلى القرن الخامس الميلادي (٤٢٥-٤٥٠م) إلى أن أسقف فيلة وجه نداء للإمبراطور تاوداسيس ليحمي كنائسه من غارات البليميين والنوباويين ، كما تحدث المؤرخ الروماني برسيق عن المعاهدة التي عقدها

---

(١) Kirwan, L. P, The Decline and fall of Meroe, Kush 8, 1960, PP 163-169.

(٢) يوسف إسحق أحمد " الماضي المعاش في جبال النوبة (منطقة الاجانج)" (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة التربية ، كلية الخرطوم، فبراير ١٩٩٧م ، ص٣٦ .

(٣) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٦م ، مرجع سابق ، ص١١٩ .

(٤) نفس المرجع ، ص٣٦-٣٧ .

(٥) محمد إبراهيم بكر ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص٦٣ .

الإمبراطور مكسيمينوس عام (٤٥١م) مع البليميون تنص على أن يسود السلام بين الطرفين لمدة مائة عام[١] .

وعندما أغلقت المعابد الوثنية بفيلة بعد اعتناق النوباطيين للدين المسيحي ثار لذلك البليميون وشنوا عليهم العديد من الغارات حتى تصدى لهم سلكوا ملك النباطيين عام (٥٤٠م) الذي سجل انتصاراته باللغة الإغريقية على معبد الامبراطور أغسطس في كلا بشة*[٢].

نستنتج من هذه الإشارات أن النوبيين جاءوا إلى وادي النيل من منطقتين ، الأولى من جهة كردفان الحالية [٣] ، والثانية من واحة الخارجة ، وتباينت آراء العلماء حول أصلهم ودلالات أسمائهم ، فيزعم دفيار أن النوبة (Nuba) هم أصحاب البلاد الأصليين أما النباطيون الذين ظهروا في بلاد النوبة السفلي الرومانية في عهد الإمبراطور دقليانوس ، أصلهم بربري من شمال أفريقيا ونتيجة لضغط الرومان عليهم نزحوا إلى الصحراء متخذين طريق الواحات ، وساعدهم على سرعة تحركهم في الصحراء ظهور الجمل في القرن الأول الميلادي ، فاستقر بعضهم في واحة الخارجة حتى استدعاهم دقليانوس للاستعانة بهم ضد البليميين، فسيطروا على منطقة النوبة السفلي ، واختلطوا بسكانها وتأثروا بعاداتهم ، ودخلوا المسيحية فيما بعد وأسسوا مملكة نوباتيا المسيحية [٤] .

ويرفض كيروان التسليم بهذا الرأي لأنه لم يعثر على آثار هذه الثقافة إلا منذ القرن الرابع الميلادي في حين أن النباطيين جاءوا إلى وادي النيل في أواخر القرن الثالث الميلادي، كما أن النباطيين لم يتخطوا مدينة المحرقة بينما وجدت آثار هذه المجموعة في جهات تقع إلى الجنوب من الشلال الثاني عند فركة[٥] ويرى أن النوباتيين ، النوباديين ونوباطيي سيلكوا هم جميعاً الذين عرفوا بالنوبيين

---

(١) كامل يوسف " النوبة وأوطانهم عبر التاريخ " الوثائق ، ع٦ ، ١٩٦٧م ، ص١٣٠ .

* انظر : الملاحق ، ملحق رقم (١) .

(٢) محمد إبراهيم بكر ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص٦٣ .

(٣) Hillson, S. Nubian Originis, S. N. R, Vol XIII, 1930, PP 137-183.

(٤) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص١٩.

(٥) Kirwan, L. P, Firka , 1939 Opcit, P 36.

وأغاروا على مروى في القرن الرابع الميلادي ، ثـــم اندفعوا شمالاً أمام الغـزو الأكسومي إلى جهات النوبة الوسطي[1] ويشاركـــه في هذا الرأي كل من الثـــايم (F. Altheim) وسيتهال (R. Stihal) اللذان يعزيان اختلاف الصور الصوتية فـي كل من نوباتيا ونوباديا ، نوباطيا ونوبة إلى التنوع في طريقة التصريـــف باللغـة اليونانية[٢] .

ويمكن القول بأن الغموض مازال يكتنف تاريخ ودوافع الهجرات النوبيـــة إلى وادي النيل ، ولا يستبعد الباحث وجود صلات قديمة بيـــن هـــذه الجماعـات وسكان وادي النيل وذلك لوجود مفردات كثيرة متشابهة بين اللغة المصرية ولغـــة هؤلاء المهاجرين ، والتي يعتقد أنها اللغة النوبية.

وقد أصبح هؤلاء المهاجرون هم سادة وادي النيل الأوسط منـــذ بدايـات القرن السادس الميلادي ، وكونوا في جوانبها ثلاث ممالك ، وهي مملكة نوباتيـــا(Nobatia) وعاصمتها فرس في الشمال ومملكة المقرة (Makuria) و عاصمتـــها دنقلا العجوز في الوسط ، أمـــا المـــملكة الأخيـــرة وهـــى علـــوة (Alodia) وعاصمتها سوبا و تقع في الجنوب [٣] ، وقد اتحدت مملكتا نوباتيا والمقـــرة فـــي وقت ما بين عامي (٦٥٠- ٧١٠ م) وصارتا مملكة واحـــدة عاصمتـــها دنقـــلا العجوز ولا يعرف علي وجه التحديد الظروف التـــي أدت الـــي هـــذا الاتحـــاد ولاتاريخه [٤] ، وإن كان البعض يري أن هذا الاتحاد تم قبل عام (٦٥٢م) وذلك لمواجهة الخطر الإسلامي بدليل ما جاء في نص اتفاقية البقط " من عبد الله بـــن أبى السرح لعظيم النوبة... من حد ارض أسوان إلى ارض علوة... " [٥] .

---

(١) Kirwan, L. P, Nubuia,.1935. Opcit, P 197.

(٢) محمد مهدي إدريس " البنيات الاجتماعية والثقافية في حضارة ما بعد مروى (٣٥٠-٥٨٠م)" (رسالة دكتوراه غير منشـــورة) ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، يوليو ٢٠٠٠م ، ص٣٢ .

(٣) محمد إبراهيم بكر , ١٩٩٨م ، مرجع سابق , ص ٢٢٦.

(٤) ب . ل شيني " بلاد النوبة في العصور الوسطى " ترجمة : نجم الدين محمد شريف ، كتابات سودانية ، تصدرها مركز الدراســـات السودانية ، ع ١٦ ، يونيو ٢٠٠١م ، ص١٦.

(5) المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،ج ١، (القاهرة : مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع) ، ص ٢٠٠ .

وعرفت أيضا هذه الممالك بالممالك المسيحية , ويعود ذلك إلى إعتناق هذه الممالك للديانة المسيحية رسمياً في حوإلى منتصف القرن السادس الميلادي[١] .

وتعد الفترة المسيحية أزهى عصور هذه الممالك الا أنها أخذت تضعف تحت وطأت الهجرات العربية والتي بدأت منذ القرن السابع الميلادي وقد اثرت هذه الهجرات في التركيبة العرقية للنوبيين ، لذا سنتناول أبرز ملامح هذه الهجرات :

بعد فتح المسلمين لمصر عام ٦٤١م ، ومنها حاولوا الامتداد جنوباً نحو بلاد النوبة[٢] فدارت بين الطرفين عدة معارك[٣] انتهت عام (٦٥٢م) باتفاقية البقط المشهورة* [٤] وبالرغم أن هذه الاتفاقية كانت قد نصت على عدم دخول العرب بلاد النوبة إلا مجتازين إلا أن هناك جماعات عربيه كثيره بدأت تهاجر إلى بلاد النوبة [٥] حيث تشير الروايات إلي أن جماعات من عرب قحطان وربيعة وقريش سكنوا جهات أسوان ثم آخذوا في التقدم جنوباً في أرض مريس ونجحوا في شراء بعض الأراضي الزراعية من النوبيين [٦] ، ثم توالت هذه الهجرات والتي كانت مرتبطة بالأوضاع السياسية والاقتصادية في مصر فعندما استخدمت الدولة العباسية الأتراك في الجيش ودواوين الحكومة بدلا من العرب لم

---

(١) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

(٢) مصطفي محمد سعد ، مرجع سابق ، ص١١٠ .

(٣) أبو الحسن احمد بن محيالدين ، البلاذري ، فتوح البلدان (بيروت : منشورات مكتبة الهلال ، ١٩٨٨م) ص٢٣٤ .

* يرى البعض أن البقط كلمة لاتينية الأصل اشتقت من كلمة (Pactum) وتعني اتفاقية أو موادعة ويقال أيضاً أنها كلمة مصرية فرعونية تعني معاهدة أو ضريبة (أنظر: متوكل أحمد الأمين ، النوبة التراث والإنسان عبر القرون ، (الخرطوم: مؤسسة القرشي للطباعة والإعلان) ، ص٧٨) ، ويميل الباحث إلى القول أن هذه الكلمة نوبية وهي في الأصل بقت (Puget) وتعني القسمة لأن الاتفاقية كانت بين العرب والنوبة فإذا كانت الكلمة غير عربية فمن الطبيعي أن تكون نوبية أما كونها مصرية قديمة فهناك تشابه بينها وبين اللغة النوبية في كثير من المفردات ، الإضافة إلى أن بنود هذه الاتفاقية تشير إلى نوع من القسمة كما وردت في بعض المصادر .

(٤) المقريزي ، مرجع سابق ، ص٢٠٠ .

(٥) يوسف فضل حسن " المعالم الرئيسية للهجرة العربية الي السودان " المجلة التاريخية المصرية تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ، مج ١٣ ، ١٩٦٧م ، ص ١٠٦ .

(٦) المسعودي ، مرجع سابق ، ص ٢٢- ٢٣.

المقدمة

الدراسات اللغوية من المقومات المهمة التي تساعد في البحث عن الآثار الحضارية والثقافية لأي أمة لأن اللغة هي مخزونها التراثي والثقافي وأداتها التاريخية التي تعكس تطورها ونموها اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، ولأهمية هذا الجانب في دراسة التاريخ ولج من خلاله الباحث بموضوعه الذي اختار له عنوان الدلالات التاريخية للهجة الدنقلاوية *.

أسباب اختيار موضوع البحث :

هنالك أسباب وأهداف عديدة تم من أجلها القيام بهذا البحث واختيار موضوعه منها :

- أن اللهجة الدنقلاوية تماثل اللهجة الكنزية بجنوب مصر والأكثر شبهاً بلهجات الأجانج في جبال النوبا ولهجة البرقيد في دارفور أو بمعنى آخر لأن اللهجة الدنقلاوية هي القاسم المشترك بين هذه اللهجات ، كما أن هنالك ميل كبير لدى الباحث بان اللهجة الدنقلاوية هي الأقرب الي اللغة النوبية القديمة .
- الرغبة العلمية للبحث في هذا الموضوع وخاصة أن الباحث يجيد هذه اللهجة بحكم انحداره من الأسرة الدنقلاوية ، وكذلك لفت نظر الباحثين لتاريخ السودان إلى هذا الميدان البحثي المهم .
- أن هذا الموضوع يبحث عن الجذور التاريخية والعرقية بين بعض المجموعات السودانية ذات الأصول النوبية في شمال السودان والتي تتحدث باللهجات النوبية ومجموعات أخري تتحدث بلهجات ذات صلة باللغة النوبية موجودة في بعض مناطق جبال النوبا بكردفان ودارفور مما قد يساهم في ارساء مفاهيم الهوية السودانية .
- ندرة الكتابات حول هذا الموضوع مما قد يجعل هذا البحث إضافة موجبة للمكتبات السودانية .

---

* من الناحية اللغوية فإن نسبة اللهجة إلى دنقلا هي اللهجة الدنقلية وهو نفس النهج الذي سار عليه محمد متولى بدر في كتابه اللغة النوبية ولكننا آثرنا استعمال ما هو شائع في السودان في هذا البحث وهو اللهجة الدنقلاوية .

أسئلة البحث :

حظيت اللغة النوبية القديمة * ولهجاتها بعدد من الدراسات إلا أن الغموض مازال يكتنف بعض جوانبها خاصة الأسئلة المتعلقة بالوضع الجغرافي للهجات النوبية الحالية نسبة لانتشارها في مناطق جغرافية متعددة فبجانب اللهجات النوبية النيلية بشمال السودان والتي تمثلها لهجات الكنوز والمحس والدناقلة هنالك لهجات ذات صلة باللغة النوبية في مناطق خارج وطنها الذي حددناه ونعني بذلك اللهجات النوبية الموجودة في بعض مناطق جبال النوبا في كردفان وفي دارفور ، الأمر الذي يجعلنا نطرح بعض الأسئلة حول هذا الموضوع أبرزها :-

- هل اللهجة الدنقلاوية هي أقرب اللهجات النوبية إلى اللغة النوبية القديمة؟
- وإذا كانت كذلك فما علاقتها باللغات السودانية القديمة ؟
- نلاحظ في اللهجات النوبية النيلية تماثل اللهجتين الكنزية بجنوب مصر والدنقلاوية في منطقة دنقلا ، بينما تختلف عنهما اللهجة المحسية بالرغم من أنها تقع جغرافياً في وسطهما ، كيف نفسر هذا الاختلاف ؟
- وما سر اختلاف هذه اللهجات النوبية وتباينها جغرافياً ؟
- وهل هناك علاقة عرقية وثقافية بين المجموعات التي تتحدث بها في كل من شمال السودان وجبال النوبا بكردفان ودارفور ؟

المصادر والمراجع :

ولإيجاد تفسيرات تاريخية مقبولة للأسئلة المذكورة آنفاً استعان الباحث بمصادر ومراجع عديدة شملت المصادر القديمة ، المصادر العربية ، المراجع الإنجليزية والعربية والسودانية ، الرسائل الجامعية ، الدوريات المتخصصة ، إضافة للمقابلات الشخصية والزيارات الميدانية وكلها موضحة في حواشي البحث ومفصلة في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث ، ولعل أهم المراجع التي تناولت تاريخ اللغات السودانية كتاب الدكتور عبد القادر محمود عبدالله اللغة المروية إلى جانب كتابي الدكتور محمد متولي بدر اللغة النوبية وكتاب الدكتور

---

* وهي لغة الممالك النوبية التي قامت في وادي النيل في القرن السادس الميلادي .

مختار خليل كبارة اللغة النوبية كيف نكتبها ، كما استفاد الباحث أيضا من كتابات الرحالة والإداريين الأوروبيين في فترة الحكم الثنائي حول اللهجات النوبية في غرب السودان والتي نشرت في مجلة السودان في رسائل ومدونات (Sudan Notes and Records) وكذلك بعض المقالات المنشورة في الدوريات السودانية .

منهج البحث :

أما منهجياً فتقيد الباحث في هذه الدراسة بأصول المنهج التاريخي وهو افضل المناهج لدراسة أي موضوع تاريخي لأنه يقوم علي الوصف والمقارنة والتحليل من أجل الثبات حقائق معينة والخروج باستنتاجات معقولة ، ولما كان هذا البحث يهتم بتاريخ اللغة وليس البناء اللغوي وتفسيره استعان الباحث ببعض مناهج البحث اللغوي التي تناسب موضوعه مثل المنهج اللغوي المقارن الذي يعتمد علي بيان العلاقات التي تربط اللغات المكونة لأسرة لغوية واحدة سواء تاريخية كانت تلك العلاقة أم صوتية أم صرفية أم دلالية .

خطة البحث :

كانت الخطة تقتضي من الباحث إلى جانب المعلومات التي جمعها من المصادر والمراجع المختلفة زيارة ميدانية للمناطق التي تتحدث فيها باللهجات النوبية ألا أنه لم يتمكن من ذلك لعدة صعوبات واجهته منها عدم توفر وسائل مواصلات سهلة لتلك المناطق إضافة إلى أن مناطق جبال النوبا تشهد عدم استقرار سياسي نسبة للتمرد ، لهذه الأسباب فضل الباحث إجراء مقابلات شخصية مع ببناء تلك المناطق بالعاصمة القومية الخرطوم .

ولمعالجة موضوع هذا البحث تطلب تقسيم محتوياته إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة على النحو التالي :

الفصل الأول عن النوبة أصولهم وأوطانهم ، تناول الباحث في هذا الفصل أشهر الأسماء التي عرف بها السودان القديم أو بعض أجزائه ثم عرج للأصول العرقية للنوبيين وأوطانهم الحالية وأسباب إنتشارهم في أماكن أخرى .

عالج الباحث في الفصل الثاني الظروف التاريخية والاجتماعية والجغرافية التي نشأت فيها اللغات السودانية القديمة ثم تحدث عن أصل اللغة النوبية القديمة وأهم مراحل تطورها وصلتها باللهجة الدنقلاوية، كما تناول أيضا علاقة اللهجة الدنقلاوية باللغات السودانية القديمة .

أما الفصل الثالث عرض الباحث فيه الانتشار الجغرافي للهجات النوبية في وادي النيل وغرب السودان وصلة اللهجة الدنقلاوية باللهجات النوبية الأخرى ، ثم عقد مقارنات في بعض المفردات بين هذه اللهجات .

وانتقل الباحث في الفصل الرابع والأخير الي شرح المدلولات التاريخية للتباين الجغرافي للهجات النوبية والعلاقات العرقية بين المجموعات التي تتحدث بها متخذاً من اللهجة الدنقلاوية عمدة لهذا الشرح إلى جانب إبراز أهم الخصائص الثقافية المشتركة بين هذه المجموعات .

وفي الخاتمة أورد الباحث ما توصل إليه من نتائج من خلال هذه الدراسة وبعض التوصيات التي رأي أنها ضرورية .

وأخيراً يأمل الباحث أن يكون هذا البحث إضافة حقيقية لما كتب في هذا الموضوع وعوناً للدارسين من بعده .

تمهيد :

خلال مراحل التاريخ القديم تعرض السودان القديم والمقصود به سودان وادي النيل لهجرات متعددة وفي فترات زمنية متعاقبة غيرت إلى حد ما من عناصر سكانه ، وقامت في مناطقه الفسيحة عدة دويلات، وحملت المنطقة أيضاً عدة مسميات على مر الزمان [١] ، وجدت معظمها في الكتابات المصرية ، والملاحظ أن هذه التسميات كانت تطلق على مناطق جغرافية محددة من سودان وادي النيل[٢] ، ولكل اسم من هذه الأسماء دلالاته التاريخية والحضارية وسنعرض لأشهر أسماء السودان القديم ونعني به سودان وادي النيل حتى نقف على اسم بلاد النوبة وهو الاسم الذي عرف به السودان في العصور الوسطى ، ثم نتناول الدلالات العرقية لهذا الاسم لنعطي خلفية عن الأصول العرقية للمجموعات النوبية بشمال السودان ومنها الدناقلة وأوطانهم الحالية وأسباب إنتشارهم في مناطق أخرى .

أشهر أسماء السودان القديم :

من أشهر الأسماء التي عرف بها السودان :

تا - سيتي (Ta-Seti) :

تتكون كلمة تاسيتي من مقطعين (تا) و (سيتي) وتعني في اللغة المصرية القديمة أرض أهل الأقواس ، وكتبت بالإشارة الدالة على الأقواس[٣] ، ويعتبر هذا الاسم هو أقدم ما عرف به السودان القديم ، حيث يرجع إلى عصر الملكين المصريين جر ودوازيت (داواداجي) ثالث ورابع ملوك الأسرة المصرية الأولي (٢٩٠٠ - ٣١٠٠ ق.م)[٤] .

---

(١) محمد إبراهيم بكر " العلاقات الحضارية بين السودان ومصر في العالم القديم " دراسات سودانية ، تصدرها شعبة أبحاث السودان بجامعة الخرطوم ، ع٢ ، يونيو ١٩٦٩م ، ص٦٣ .

(٢) على أحمد قسم السيد " تاريخ وجغرافية بعض بلاد النوبة من خلال النقوش المصرية القديمة والمتوسطة " دراسات سودانية ، ع١-٢ مزدوج ، مج٩ ، ديسمبر ، ١٩٨٩م ص ٩٦_ ١٠٦.

(٣) محمد إبراهيم بكر ، تاريخ السودان القديم (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٩٨م) ، ص٣٧.

(٤) نجم الدين محمد شريف ، " النوبة قبل نباتا (٣١٠٠ - ٧٥٠ ق.م) " في تاريخ إفريقيا العام ، ج٢ ، (إيطاليا : أو نتريال للطباعة والنشر ، ١٩٨٥) ، أشرف : جمال مختار ، ص٢٥٠ .

أما عن الإطار الجغرافي لهذا الاسم فقد اعتقد البعض أن تاسيتي كانت تطلق على أول مقاطعة مصرية من مقاطعات الوجه القبلي من جهة الجنوب ، ولكن الوثائق أثبتت خطأ هذا الاعتقاد حيث عرفت المنطقة الواقعة جنوب مصر إلى الشلال الثالث في عهد الأسرة الثامنة عشر ببلاد تاسيتي(١) .

تا – نحسي (Ta-Nehesi) :

ومن الأسماء التي أطلقت على السودان القديم اسم تانحسي وورد ذكر هذا الاسم في نقش حجر بالرمو* الذي يخبرنا أن قوات الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة قد غزت نحيسو عام (٢٦٨٨٠ ق.م) ، ثم تكرر ذكر هذا الاسم في عهد الملك خوفو بن سنفرو ثاني ملوك الأسرة المصرية الخامسة (٢) .

ويزعم شوقي الجمل أن كلمة تا – نحسي تعني أرض السود (٣) .

ويرى البعض أن كلمة نحسي لم تكن تحمل في البداية أي دلالة عرقية وعندما دخل الزنوج لأول مرة بلاد السودان القديم في زمن الأسرة الثانية عشرة واستوطنوا بعض أجزائها كانوا يسمون بنحسي ثم أخذ هذا الاسم شيئاً فشيئاً يحملى المعني الخاص بالزنوج(٤).

ويرجح الدكتور حاكم أن كلمة نحسي ربما جاء منها اسم المحس وهو الاسم الذي يطلق الآن على المجموعة النوبية بشمال السودان (٥) .

كوش (Kush) :

اسم كوش من أشهر الأسماء التي عرف بها السودان القديم وظهر هذا الاسم لأول مرة في نصوص الدولة المصرية الوسطي ، وكانت تكتب (كاش- كش أو كس) وقد استعملت للإشارة لإحدى قبائل السودان التي كانت تستوطن

---

(١) سليم حسن ، مصر القديمة ، ج١٠ ، " القاهرة ، ١٩٥٥م " ، ص٧٩ .

* وسمي هذا الاسم لأن الجزء الأكبر منه موجود بالرمو عاصمة صقلية . " أنظر : شوقي الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل حضارته وعلاقته بمصر من أقدم العصور للوقت الحاضر ، ج (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٩م) ، ص٢ ، هامش ٣".

(٢) Arkel. A. J, Ahistory of Sudan from the Earliest to 1821, (London, 1955), P. 41.

(٣) شوقي الجمل ، مرجع سابق ، ص٧.

(٤) مصطفي محمد مسعد ، الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ، (القاهرة ١٩٦٢م) ، ص٦.

(٥) أحمد محمد على حاكم " النوبة وتاريخ السودان القديم " ، كلية الآداب ، تصدرها جامعة الخرطوم ، ع٤، يوليو ١٩٨١م ، ص٨٤.

المنطقة الواقعة جنوب الشلال الثالث ثم صار هذا الاسم علماً على كل البلاد التي تقع إلى الجنوب من الشلال الأول[١] ، وورد أيضاً اسم كوش في كتاب العهد القديم: "وسمع عن ترهاقة ملك كوش قولاً :"قد خرج ليحاربك "." [٢]، إشارة للحروب التي دارت بين الكوشيين والآشوريين في زمن حكم الملك تهارقا (٦٩٠ - ٦٥٦ ق.م)[٣]، كما أطلق الآشوريون في القرن السابع قبل الميلاد اسم كوش على كل البلاد الواقعة جنوب الشلال الأول وأيضاً عرفت هذه المنطقة عند الفرس بنفس هذا الاسم[٤] .

وقد استخدم هذا الاسم حتى القرن الرابع الميلادي والدليل على ذلك وروده في لوحة الملك الأكسومي عيزانا الذي أدعي سيطرته على كاس (كوش) [٥] ، مما يدل على قدم وأصالة اسم كوش وارتباطه بالسودانيين القدماء ، ولكن مع ذلك فإن المسميات التي اقترنت بالتقسيم الزمني لحضارات السودان مثل نبتيين ومرويين نسبة إلى العاصمتين نبتة ومروي لم تسقط عند كثير من الكتاب بل استخدمت جنبا إلى جنب مع اسم كوش فيقال كوشيو فترة نبتة وكوشيو فترة مروي ، وعند الإشارة إلى مملكة كوش يقصد الفترتين النبتية والمروية[٦] .

النوبة (NOBIA) :

عرف السودان في العصور الوسطي باسم بلاد النوبة[٧] ، وما زال هذا الاسم يرد في كثير من المراجع الحديثة ، وفي الفترة الأخيرة صار يستعمل اكثر للإشارة لأهل السودان في العصور المبكرة[٨] .

وبالرغم من شهرة هذا الاسم وترديده إلى اليوم فقد اختلف الباحثون في أصل كلمة نوبة واشتقاقها فالبعض ومنهم برستيد أرجعه إلى الأصل المصري

(١) علي أحمد قسم السيد ، مرجع سابق ، ص١٠٣ .

(٢) الكتاب المقدس ، العهد القديم ، اشيعاء ٣٧-٣٩.

(٣) حسن سليمان محمود ، جلال جاويش ، تاريخ السودان في العصور القديمة ، (القاهرة : مكتبة مصر) ، ص١٢١-١٢٢.

(٤) محمد علي حاكم ، مرجع سابق ، ص٨٥ .

(٥) محمد إبراهيم بكر ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص٨٥ .

(٦) سامية بشير دفع الله " التعريف بتاريخ السودان القديم " دراسات سودانية ، يصدرها معهد الدراسات السودانية ، ع ، مج١٠ ، أبريل ١٩٩٠م ، ص٨١.

(٧) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص٦.

(٨) سامية بشير دفع الله ١٩٩٠م ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

القديم باعتباره مشتقاً من كلمة نوب (Nub) أو نوبو (Nūbu) المصرية القديمة والتي تعني الذهب* ووردت هذه الكلمة في كتابات الملك امنحتوت الأول أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٩٦٢م ق.م)[١]. وتعتقد الدكتورة سامية بشير دفع الله بضعف هذا الرأي لأنه لو كان الأمر كما ذكر لوجدت إشارة في الكتابات المصرية القديمة إلى بلاد النوبة (تا - نوب) ولكن هذا اللفظ غير موجود في المعروف لدينا من الكتابات[٢] .

وربط ماكمايكل (MacMicheal) بين اسم النوبة وكلمتي نبد (Nebed) المصرية والتي وردت في نقش الملك تحتمس الأول أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة ووصف بها قوماً ممشوطي الشعر يقطنون جنوب الشلال الثالث وكلمة نوربت (Norbot) القبطية وتعني يضفر أو يمشط[٣].

وهناك رأي آخر تبناه الشاطر بصيلي يرجع أصل هذه الكلمة إلى اللفظة اليونانية (Nimeidi) ومعناها الرعاة أو الجوالة ، فأطلق الرومان والذين كانوا يسيطرون على منطقة شمال أفريقيا وشمالها الغربي اسم النوماديين (Numidian) ، أي البدو ، على المجموعات البدوية التي جاءت إلى وادي النيل في القرن الثالث الميلادي ، ويرى أن نومادي (Nemadi) كان المصدر للفظة نوبة مع الأخذ بعين الاعتبار أن استبدال حرف بآخر أمر شائع في كل اللهجات الأفريقية[٤] .

غير أن معظم الباحثين يرون أن أول ذكر لاسم النوبة كعلم لشعب جاء في القرن الثالث قبل الميلاد[٥] ، وورد هذا الاسم في المصادر المختلفة بأربع صيغ على قدر كبير من الشبه وهي النوباوي (Noubae) ، النوباديا (Nobudes) ، النوباتيا أو النوباطيا (Nobatai) والنوبة (Nobia) حتى استقرت على الصيغة

---

* هذه الكلمة ما زالت تستعمل إلى اليوم عند النوبيين بشمال السودان وبنفس المعنى وأن اختلفت قليلاً في القيمة الصوتية حيث تنطق بلهجة الدناقلة نوبري (Nubry) ، وبلهجة المحس (Nab) .

(١) MacMicheal. H. A, Ahistory of Arabs in the Sudan, ed2 (Edinburgh, 1967), P, 12.

(٢) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٠ ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

(٣) MacMicheal. H. A, Opcit, P, 12.

(٤) الشاطر بصيلي عبد الجليل ، الشاطر بصيلي عبد الجليل ، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للميلاد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م) مرجع سابق ، ص٦٣ .

(٥) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص٦ .

الأخيرة في العصور الوسطى ، ويرجع الفضل في أنتشار اسم بلاد النوبة للكتاب والمؤرخين العرب[١]، وسنتتبع في الصفحات التالية المدلولات العرقية لهذا الاسم .

أصول النوبة :

كان للموقع الجغرافي لبلاد النوبة أثرٌ كبيرٌ في تكوينه البشري فمن الشمال عن طريق برزخ السويس دخلت الهجرات السامية وانتشرت من مصر جنوباً نحو السودان منذ اقدم العصور ، وعن طريق البحر الأحمر كانت الهجرات من الجزيرة العربية إلى السودان مباشرة ، وكان نهر النيل نفسه والذي ربط أفريقيا بالبحر الأبيض المتوسط طريقاً هاماً تتبعه الهجرات البشرية في توغلها شمالاً وجنوباً[٢] ، كذلك لعبت الصحراء الواقعة في شرقي النيل وغربيهِ دوراً كبيراً في ربط أجزاء المنطقة ، لأن الهجرات البشرية أثناء تحركها كانت تتبع في طريقها الوديان التي توصلها إلى النيل ، مع الوضع في الاعتبار أن مناخ المنطقة كان أقل جفافاً وقسوة في السابق[٣] ، وتتميز هذه المنطقة أيضاً بمقدرتها الكبيرة على امتصاص العناصر التي دخلتها من فترة لأخرى وعلى صهرها صهراً تاماً حتى تندمج في سائر السكان[٤] ، لذا يري بعض العلماء أن هذه المنطقة منطقة التقاء للسلالات البشرية[٥] وخاصة العرقين القوقازي من شمال أفريقيا والزنجي من وسط أفريقيا وان كان الاختلاف قائماً بينهم حول نوع الجنس الأول الذي كان موجوداً في المنطقة[٦] .

---

(١) أحمد محمد علي حاكم ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

(٢) محمد محمود الصياد ، محمد عبد الغني سعودي ، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري ، (القاهرة ، ١٩٦٦م) ، ص١٥١-١٥٢.

(٣) نفس المرجع ، ص١٥٢ .

(٤) محمد عوض محمد ، السوداني الشمالي سكانه وقبائله ، ط٢ (القاهرة: لجنة التأليف والنشر، ١٩٥٦م) ، ص٢٨٤ .

(٥) عبد العزيز كامل ، دراسات في الجغرافية البشرية للسودان (مصر : دار المعارف ، ١٩٧٢م) ، ص ١٠٢ .

(٦) سامية بشير دفع الله ،تاريخ الحضارات السودانية منذ اقدم العصور ال قيام مملكة نبتة (الخرطوم :دار هايل للطباعة والنشر والتغليف ،١٩٩٨م) ص١٩٦.

ويرى محمد عوض أن سكان بلاد النوبة كانوا من نفس السلالة التي ينتمي إلـيها المصـريون القدماء، وأنهم بمثابة الأساس الذي بني عليه شعب المنطقة من الناحية السلالية[1].

وتشـير بعـض الدراسات إلى أن الزنوج بدءوا يدخلون بلاد النوبة مع بدايات الأسرة المصرية الثانية عشرة (١٧٨٦ – ١٩٩١ ق . م)[2] ، وشهدت القرون الأخيرة لمملكـة مروي زحف عناصر زنجية من الجنوب نحو وادي النيل وظهر ذلك جلياً من خـلال نـتائج الأبحـاث الأثـرية لمقابـر بلانة والقسطل وفركة والتي عرفت بمقابر المجموعة الثقافية (×) (٢٠٠ – ٥٥٠ ق.م)[3] .

وقد فسر كيـروان وجود الخصائص الزنجية في مقابر المجموعة(X) بحدوث هجـرات زنجـية مـن الجنوب استقـر أصحابها في وادي النيل الأوسط واختلطوا بسـكانها[4]، ويـرى أن هـؤلاء المهاجرين هـم المجمـوعات التي أطلق عليها اسم النوبيين[5].

ولكـن مـن هم هؤلاء النوبيون ؟ ومن أين جاءوا؟ وهل هم ينتمون لمجموعة عرقية واحدة ، أم إلى مجموعات عرقية مختلفة ؟

جـاء أول ذكـر للـنوباي في القرن الثالث قبل الميلاد في كتابات المؤرخ اليونانـي أرتوثيـنس (Eratostheries) الـذي ذكر بأنهم أمـة كثيفة يقطنون الضفة الغربـية للنـيل ، وتمتد أوطانهم من شمال مروى إلى مدينة الدبـة الحالية ، ويمثلون وحـدات سياسـية مسـتغلة عـن السلطة المروية ، وقد نقله عنـه المؤرخ الروماني سـترابون (Starbo) في بدايـات القرن الثاني للميلاد فـي كتـابه الجغرافيا [6] ، ثم أخذت هذه المجموعات فـي الانتشـار السريع شمـالاً وملكـوا ضفتي النيل شرقاً

(١) محمد عوض محمد ، مرجع سابق ؛ ص٣٠١ .

(٢) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص٨ .

(٣) Kirwan, L. P, The Oxford University Excavations at Firka (London, 1939) P, 36.

(4) Kirwan, L. P, Firka,1939 , Opcit, P. 36.

(5) Kirwan. L. P, The Oxford University Excavations in Nubia, 1934-1935, J. E. A. Vol XXI, Pa11, 1935, P197.

(6) Starbo, The Gogrephy Of Starbo, Trans H. L, Gones, ed2, Vol VIII, (London, 1959) , P 7.
انظر : سامية بشير دفع الله ، " النوبة .. الأصل والتاريخ " دراسات إفريقية يصدرها مركز البحوث والترجمة بجامعة أفريقيا العالمية ، ع١٤ ، يناير ١٩٩٦م ، ص١١٧ .

وغرباً وكان مركزهم جزيرة تنوبسس *، وهذا ما أكده بلينيوس الروماني أحد كتاب القرن الأول الميلادي[١] .

وذكر الجغرافي بطليموس (١٥٠ ق.م) أنهم يعيشون على الضفة الغربية للنيل وفي جزيرة مروى ، وأشار اجاثيماروس (Agathemenerus) الذي عاش في القرن الثالث الميلادي بان النوبيين يملكون ضفتي النيل[٢] .

ويبدو من أقوال هؤلاء المؤرخين أن هذه المجموعات جاءت إلى وادي النيل من جهة الجنوب الغربي منذ الفترة التي تسبق القرن الثالث قبل الميلاد لأسباب مجهولة ، ثم ازدادت أعدادهم وأخذوا في الانتشار السريع شمالاً ، ومارسوا في المناطق التي استوطنوها حياتهم السياسية على غرار تنظيماتهم التي كانت قائمة في أوطانهم الأصلية فأنشأوا فيها العديد من الممالك الصغيرة أو المشيخات[٣] ، ويعضد هذا الفرض النص الذي كتب باللغة المروية، (Qore nobole) وتعني ملك النوبيين ، على تمثال من البرونز لرجل مقيد إلى الخلف يؤرخ للقرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول الميلادي [٤] ، مما يشير إلى أن هذه المجموعات كان لها نظام سياسي مستقل عن المرويين على رأسه ملك .

ثم جاءت موجة أخرى من الهجرات نحو بلاد النوبة من جهة الغرب من واحة الخارجة وتم ذلك في الفترة ما بين عامي (٢٨٤ - ٢٩٦م) عندما إستدعاهم الأمبراطور الروماني دقليانوس للاستقرار في منطقة النوبة السفلي ليدفعوا عنه خطر البليميين وسماهم بروكبيوس النباطيين [٥] .

وفي منتصف القرن الرابع الميلادي ورد ذكر النوبة في نقش الملك الاكسومي عيزانا الذي قام بغزو وادي النيل وذلك لردع النوبيين الذين عبروا النيل الأزرق ونهر النيل ونهر عطبرة وأغاروا على قبائل المنقرتو والباريا

---

* يرى مصطفى محمد مسعد أن تنوبسس ربما يقصد بها بنوبس في جزيرة أرقو (انظر: مصطفى محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص١٢، هامش ٧).

(١) الأب . ج .فانتيني ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، (الخرطوم ، ١٩٧٨م) ، ص٢٨ .

(٢) Kirwan. L. P, Asurvoy Of Nubians Origins, N. S. R, Vol XX, Pa 1. 1937, P 46.

(٣) سامية بشير ،١٩٩٦م ، مرجع سابق ، ص١٢١ .

(٤) Steffen, W, Africa In Antiquity, (The Brooklyn Museum, 1978) Pa 11, P, 218.

(٥) Procopius, History of Wars, Trans H. B, Dewing, (London, 1961) P, 185.

والخاسة وأخذوا يشكلون خطراً على حدود مملكته ، وقد نجح عيزانا في هزيمة هؤلاء النوبيين واصفا إياهم بالسواد وتعقبهم شمالاً حتى وصل حدود النوبة الحمر عندها قرر الرجوع ، وشيد نصباً تذكارياً عند ملتقي نهر عطبرة بالنيل خلد فيه انتصاراته على النوبيين ، وهو النصب الذي عرف بنقش عيزانا[1]

ونلاحظ مما جاء في نقش عيزانا الآتي :

اولاً : أطلق عيزانا لأول مرة اسم النوبة على جماعتين في وادي النيل ، الأولى النوبة السود وهي الجماعة التي حاربها ، والثانية النوبة الحمر[2] ، ويبدو أن هؤلاء هم أحفاد المهاجرين الأوائل الذين تغيرت سحنتهم قليلاً نتيجة لاختلاطهم بالمرويين أو ببعض العناصر القوقازية التي كانت تفد إلى منطقة شمال السودان وربما وصفهم عيزانا بالحمر للون بشرتهم الأفتح نسبياً [3] .

ثانياً : ذكر النوبة ضمن مجموعة من القبائل كانت تسكن المنطقة مثل المانقرتو، الهاسا ، الباريا ، مما يشير إلى أن اسم النوبة وبصوره المختلفة ظل يطلق طيلة الفترات السابقة على جماعة لها خصائصها الثقافية والعرقية [4].

وكذلك أشار المؤرخ الإغريقي المبيوردوروس (٤٠٧-٤٢٥م) إلى تحالف بين البليميين والنباطيين يشنون بموجبه غارات على حدود مصر الجنوبية بعد ما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية بما فيها مصر[5] .

وتشير بردية ترجع إلى القرن الخامس الميلادي (٤٢٥-٤٥٠م) إلى أن أسقف فيلة وجه نداء للإمبراطور تاوداسيس ليحمي كنائسه من غارات البليميين والنوباويين ، كما تحدث المؤرخ الروماني برسيق عن المعاهدة التي عقدها

---

(١) Kirwan, L. P, The Decline and fall of Meroe, Kush 8, 1960, PP 163-169.

(٢) يوسف إسحق أحمد " الماضي المعاش في جبال النوبة (منطقة الاجانج)" (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة التربية ، كلية الخرطوم، فبراير ١٩٩٧م ، ص٣٦ .

(٣) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٦م ، مرجع سابق ، ص١١٩ .

(٤) نفس المرجع ، ص٣٦-٣٧ .

(٥) محمد إبراهيم بكر ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص٦٣ .

الإمبراطور مكسيمينوس عام (٤٥١م) مع البليميون تنص على أن يسود السلام بين الطرفين لمدة مائة عام[١] .

وعندما أغلقت المعابد الوثنية بفيلة بعد اعتناق النوباطيين للدين المسيحي ثار لذلك البليميون وشنوا عليهم العديد من الغارات حتى تصدى لهم سلكوا ملك النباطيين عام (٥٤٠م) الذي سجل انتصاراته باللغة الإغريقية على معبد الامبراطور أغسطس في كلا بشة*[٢].

نستنتج من هذه الإشارات أن النوبيين جاءوا إلى وادي النيل من منطقتين ، الأولى من جهة كردفان الحالية [٣] ، والثانية من واحة الخارجة ، وتباينت آراء العلماء حول أصلهم ودلالات أسمائهم ، فيزعم دفيار أن النوبة (Nuba) هم أصحاب البلاد الأصليين أما النباطيون الذين ظهروا في بلاد النوبة السفلي الرومانية في عهد الإمبراطور دقليانوس ، أصلهم بربري من شمال أفريقيا ونتيجة لضغط الرومان عليهم نزحوا إلى الصحراء متخذين طريق الواحات ، وساعدهم على سرعة تحركهم في الصحراء ظهور الجمل في القرن الأول الميلادي ، فأستقر بعضهم في واحة الخارجة حتى استدعاهم دقليانوس للاستعانة بهم ضد البليميين، فسيطروا على منطقة النوبة السفلي ، واختلطوا بسكانها وتأثروا بعاداتهم ، ودخلوا المسيحية فيما بعد وأسسوا مملكة نوباتيا المسيحية [٤] .

ويرفض كيروان التسليم بهذا الرأي لأنه لم يعثر على آثار هذه الثقافة إلا منذ القرن الرابع الميلادي في حين أن النباطيين جاءوا إلى وادي النيل في أواخر القرن الثالث الميلادي، كما أن النباطيين لم يتخطوا مدينة المحرقة بينما وجدت آثار هذه المجموعة في جهات تقع إلى الجنوب من الشلال الثاني عند فركة[٥] ويرى أن النوباتيين ، النوباديين ونوباطيي سيلكوا هم جميعاً الذين عرفوا بالنوبيين

---

(١) كامل يوسف " النوبة وأوطانهم عبر التاريخ " الوثائق ، ع٦ ، ١٩٦٧م ، ص١٣٠ .

* انظر : الملاحق ، ملحق رقم (١) .

(٢) محمد إبراهيم بكر ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص٦٣ .

(٣) Hillson, S. Nubian Originis, S. N. R, Vol XIII, 1930, PP 137-183.

(٤) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص١٩.

(٥) Kirwan, L. P, Firka , 1939 Opcit, P 36.

وأغاروا على مروى في القرن الرابع الميلادي ، ثـــم اندفعوا شمالاً أمام الغـزو الأكسومي إلى جهات النوبة الوسطي[1] ويشاركـــه في هذا الرأي كل من الثـــايم (F. Altheim) وسيتهال (R. Stihal) اللذان يعزيان اختلاف الصور الصوتية فـي كل من نوباتيا ونوباديا ، نوباطيا ونوبة إلى التنوع في طريقة التصريـــف باللغـة اليونانية[٢] .

ويمكن القول بأن الغموض مازال يكتنف تاريخ ودوافع الهجرات النوبيـــة إلى وادي النيل ، ولا يستبعد الباحث وجود صلات قديمة بيـــن هــذه الجماعـات وسكان وادي النيل وذلك لوجود مفردات كثيرة متشابهة بين اللغة المصرية ولغـــة هؤلاء المهاجرين ، والتي يعتقد أنها اللغة النوبية.

وقد أصبح هؤلاء المهاجرون هم سادة وادي النيل الأوسط منـــذ بدايـات القرن السادس الميلادي ، وكونوا في جوانبها ثلاث ممالك ، وهي مملكة نوباتيـــا(Nobatia) وعاصمتها فرس في الشمال ومملكة المقرة (Makuria) و عاصمتـــها دنقلا العجوز في الوسط ، أمـــا المـــملكة الأخيـــرة وهـــي علـــوة (Alodia) وعاصمتها سوبا و تقع في الجنوب [٣] ، وقد اتحدت مملكتا نوباتيا والمقـــرة فـي وقت ما بين عامي (٦٥٠- ٧١٠ م) وصارتا مملكة واحـــدة عاصمتـــها دنقـــلا العجوز ولا يعرف علي وجه التحديد الظروف التـــي أدت الـــي هـــذا الاتحـــاد ولاتاريخه [٤] ، وإن كان البعض يري أن هذا الاتحاد تم قبل عام (٦٥٢م) وذلك لمواجهة الخطر الإسلامي بدليل ما جاء في نص اتفاقية البقط " من عبد الله بـــن أبى السرح لعظيم النوبة... من حد ارض أسوان إلى ارض علوة... " [٥] .

---

(١) Kirwan, L. P, Nubuia, 1935. Opcit, P 197.

(٢) محمد مهدي إدريس " البنيات الاجتماعية والثقافية في حضارة ما بعد مروى (٣٥٠-٥٨٠م)" (رسالة دكتوراه غير منشـــورة) ، جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ، يوليو ٢٠٠٠م ، ص٣٢ .

(٣) محمد إبراهيم بكر , ١٩٩٨م ، مرجع سابق , ص ٢٢٦.

(٤) ب . ل شيني " بلاد النوبة في العصور الوسطى " ترجمة : نجم الدين محمد شريف ، كتابات سودانية ، تصدرها مركز الدراســـات السودانية ، ع ١٦ ، يونيو ٢٠٠١م ، ص١٦.

(٥) المقريزي ، تقي الدين ابي العباس احمد ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،ج ١. (القاهرة : مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع) ، ص ٢٠٠ .

وعرفت أيضا هذه الممالك بالممالك المسيحية , ويعود ذلك إلى إعتناق هذه الممالك للديانة المسيحية رسمياً في حوالى منتصف القرن السادس الميلادي[١] .

وتعد الفترة المسيحية أزهى عصور هذه الممالك الا أنها أخذت تضعف تحت وطأت الهجرات العربية والتي بدأت منذ القرن السابع الميلادي وقد اثرت هذه الهجرات في التركيبة العرقية للنوبيين ، لذا سنتناول أبرز ملامح هذه الهجرات :

بعد فتح المسلمين لمصر عام ٦٤١م ، ومنها حاولوا الامتداد جنوباً نحو بلاد النوبة[٢] فدارت بين الطرفين عدة معارك[٣] انتهت عام (٦٥٢م) باتفاقية البقط المشهورة* [٤] وبالرغم أن هذه الاتفاقية كانت قد نصت على عدم دخول العرب بلاد النوبة إلا مجتازين إلا أن هناك جماعات عربيه كثيره بدأت تهاجر إلى بلاد النوبة [٥] حيث تشير الروايات إلي أن جماعات من عرب قحطان وربيعة وقريش سكنوا جهات أسوان ثم آخذوا في التقدم جنوباً في أرض مريس ونجحوا في شراء بعض الأراضي الزراعية من النوبيين [٦] ، ثم توالت هذه الهجرات والتي كانت مرتبطة بالأوضاع السياسية والاقتصادية في مصر فعندما استخدمت الدولة العباسية الأتراك في الجيش ودواوين الحكومة بدلا من العرب لم

---

(١) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

(٢) مصطفي محمد سعد ، مرجع سابق ، ص١١٠ .

(٣) أبو الحسن احمد بن محيالدين ، البلاذري ، فتوح البلدان (بيروت : منشورات مكتبة الهلال ، ١٩٨٨م) ص٢٣٤ .

* يرى البعض أن البقط كلمة لاتينية الأصل اشتقت من كلمة (Pactum) وتعني اتفاقية أو موادعة ويقال أيضاً أنها كلمة مصرية فرعونية تعني معاهدة أو ضريبة (أنظر: متوكل أحمد الأمين ، النوبة التراث والإنسان عبر القرون ، (الخرطوم: مؤسسة القرشي للطباعة والإعلان) ، ص٧٨) ، ويميل الباحث إلى القول أن هذه الكلمة نوبية وهي في الأصل بقت (Puget) وتعني القسمة لأن الاتفاقية كانت بين العرب والنوبة فإذا كانت الكلمة غير عربية فمن الطبيعي أن تكون نوبية أما كونها مصرية قديمة فهناك تشابه بينها وبين اللغة النوبية في كثير من المفردات ، الإضافة إلى أن بنود هذه الاتفاقية تشير إلى نوع من القسمة كما وردت في بعض المصادر .

(٤) المقريزي ، مرجع سابق ، ص٢٠٠ .

(٥) يوسف فضل حسن " المعالم الرئيسية للهجرة العربية الي السودان " المجلة التاريخية المصرية تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ، مج ١٣ ، ١٩٦٧م ، ص ١٠٦ .

(٦) المسعودي ، مرجع سابق ، ص ٢٢- ٢٣.

يكن هناك مفر لدى العرب أمام هذا الضغط السياسي والاقتصادي إلا الانسياب جنوباً إلى بلاد النوبة[١] .

وفي عهد الدولة الطولونية بمصر والذي أسسها أحمد بن طولون سنه (٨٦٨م) حدث نوع من التبادل في الجماعات فبينما استمرت الجماعات العربية في هجرتها نحو بلاد النوبة استجلبت الدولة الطولونية أعداداً كبيرةً من النوبيين للعمل في الجيش قدر عددهم بأربعين ألف رجل[٢] ، وكذلك استمر الحال في عهد الدولة الاخشيدية (٩٤٤-٩٦٧م)[٣] .

وشهد العهد الفاطمي (٩٦٩-١١٧١م) في مصر ميلاد أول أمارة عربية قوية اتخذت من أسوان مركزاً لها وعرفت بالإمارة الكنزية* [٤] ولكن صلاح الدين الأيوبي قضى على هذه الإمارة[٥] ، وأجبر الكنوز على الرحيل جنوباً إلى بلاد النوبة الشمالية فنقلوا معهم نشاطهم السياسي إلى هناك واندمجوا مع سكانها اندماجاً كاملاً[٦] , ونجحوا في حكم بلاد النوبة مستفيدين من نظام وراثة العرش عند النوبيين*[٧] ، عقب الحملات المملوكية على بلاد النوبة (١٢٦٧-١٣٢٣م) والتي تمكنت من الوصول إلى مدينة دنقلا والسيطرة عليها سياسياً[٨] .

---

(١) يوسف فضل حسن ، دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب ، ط١ ، ج٢ (الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م) ، ص١٥-١٦ .

(٢) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص١٣٨ .

(٣) نفس المرجع ، ص١٣٩ .

* اعترفت الدولة الفاطمية بهذه الامارة عندما نجح أبو المكارم هبة الله زعيم هذه الإمارة في القبض على أبي ركوة أحد الخارجين عن الدولة الفاطمية بايعاز من الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله فأنعم عليه بلقب كنز الدولة وتوارث ابناءه هذا اللقب وعرفوا بالكنوز وهم من عرب ربيعة (انظر: مصطفي محمد مسعد ، مصدر سابق ، ص١٣٤-١٣٥) .

(٤) نفس المرجع ، ص١٣٤ .

(٥) شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، أبو شامة ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: محمد حلمي أحمد ، ج١ ، القسم الثاني ، (القاهرة: الموسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٢) ، ص، ٥٣١.

(٦) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص١٣٧ .

* كانت عادة ملوك النوبة جارية بأنه إذا مات الملك برت الملك عنه ابن اخته (انظر : ابو صالح الأرمني ، تاريخ الشيخ أبو صالح ، نقلاً عن : المكتبة السودانية العربية ، مجموعة النصوص ولوثائق الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى (الخرطوم ، ١٩٧٢م) ، ص١٤٤) .

وفي الربع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي لم تعد بلاد النوبة وطنا خالصا للنوبيين بل شاركتهم فيها المجموعات العربية التي وفدت مع الحملات المملوكية ، وفضلت البقاء ببلاد النوبة[٨] ومن هذه الجماعات بنو بكر ، وبنو شيبان ، بنو هلال وغيرهم[١] ، ولعل أهم هذه الهجرات هي هجرة عرب جهينة والتي تمت على فترات وكان لها اثر كبير في ضعف مملكة النوبة[٢] .

ونتيجة لاستيطان بعض هذه الجماعات العربية في بلاد النوبة واختلاطها بالنوبيين تشكلت في القرن الخامس عشر الميلادي المجموعات النوبية المستعربة والتي لا تختلف كثيراً في ملامحها وصفاتها الطبيعية عن النوبيين الحاليين من كنوز ومحس ودناقلة [٣] .

كما حدث امتزاج طفيف آخر بين النوبيين والجنود الأتراك أبان فترة الحكم العثماني لمصر [٢] .

الأوطان الحالية للنوبيين :

كان النوبيون في العصور الوسطي يحتلون أجزاء وادي النيل الممتدة من أسوان إلي جنوبي إلتقاء النيلين الأبيض والأزرق إلي جانب مناطق من حوض النيل الأزرق ونهر عطبرة حتي أطراف الحبشة شرقاً وأقاليم كردفان ودارفور غرباً [١] .

أما الأوطان الحالية للنوبيين تمتد من مدينة أسوان المصرية في الشمال إلي مدينة الدبة السودانية جنوباً وقد تكون هذه المساحة أقل من نصف المساحة

---

[٧] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، النويري ، نهاية الأرب ، نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية / معارف عامة / رقم ٥٤٩ ، ج٢٨ ، نقلا عن : مصطفي محمد مسعد ، ١٩٧٢م ، مرجع سابق ، ص٢٢٠ .

[٨] مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص ١٣٧ .

[٨] نفس المرجع ، ص١٧٠ .

(١) عبد الرحمن بن محمد ، ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم ، مج٥ ، (بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر) ص ٨٦٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص٩٢٢ - ٩٢٣ .

(٣) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص١٨٢ .

(٢) السيد أحمد حامد ، النوبة الجديدة ، دراسة في الانثربولوجيا الاجتماعية ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب) ، ص٣٢ .

[١] مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص ٦.

التي كانوا يحتلونها في الماضي [١] أما الجزء الممتد جنوب الدبـــة فيحتلـه الآن الجعليون* [٢] .

وينقسم النوبيون اليوم إلي خمس مجموعات رئيسية وهي الكنوز ، القديجـة ، السكوت، المحس ، الدناقلة .

ويحتل الدناقلة المنطقة الممتدة ما بين الدبة جنوباً وأبي فاطمة شمالاً ، ويعد أقليمهم هذا من أحسن ما إشتملت عليه الأوطان النوبية في الوقت الحالي ، فالنــهر فيها معتدل الجريان، خال من الجنادل ، سهل الملاحة ، ويتسع النهر فـــي هــذه المناطق أثناء الفيضانات في عدة مواضع الأمر الذي يتيح للسكان فرصة الزراعة عن طريق نظام الري الفيضي * ومع اشتغال الدناقلة بالزراعة فهم مـــن أنشــط الجماعات في السودان كله في التجارة .

أما المحس فإن أوطانهم تتخللها جنادل الشلال الثالث وفيها يضيق مجـــري النهر بحيث لا يسمح بالزراعة إلا بمقدار ضئيل ومع ذلك فإن هنالك جهات يتســع فيها الوادي تباشر فيها الزراعة ، غير أن إقليم المحس بوجه عام محدود المــوارد وسرعان ما يضيق بسكانه ولهذا فإن الهجرة من هذا الإقليم أكثر من غيره .

ويعتبر السكوت هم أصغر المجموعات النوبية عدداً وتنتهي أوطانهم إلـــي الجنوب من وادي حلفا وبذلك تكون أوطان المجموعات الثلاث الدناقلة والمحـــس والسكوت كلها داخل حدود السودان الحالية [٣] .

أما الفديجة فيقطنون في المنطقة ما بين وادي حلفا وبلدة كرسكو ويـــروى أن مجموعات من المحس والسكوت هاجرت شمالاً سعياً وراء الرزق وهرباً مـــن

---

[١] محمد عوض محمد ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢.

* المجموعات الجعلية تضم العديد من القبائل وهي البديرية ، الشايقية ، المناصير، الراطاب الجعليين (انظـــر: محمـــد عـــوض محمـــد ١٩٥٦م ، مرجع سابق ، ص١٦٣-١٦٨) .

[٢] مصطفي محمد مسعد ، النوبة ، مرجع سابق ، ص ١١.

* وتتم الزراعة بعد إنحسار مياه الفيضانات من الأراضي المنخفضة تاركو وراءها تربة غرينية صالحة للزراعة ولا تحتاج للماء ، وتستخدم السلوكة في الزراعة.

([3]١) محمد عوض محمد ، السودان ، مرجع سابق ، ٣٠٣ .

الإرهاق السياسي والاقتصادي في زمن المهدية وسكنت هذه المنطقـــة وعرفــوا الفديجة أي الهاربين من الهلاك .

ويعيش الكنوز كلهم داخل الحدود المصرية حتى مدينة أسوان جنوب مصر ، وهم لا يختلفون في شكلهم الطبيعي عن سكان الوجه القبلي في مصر ، وقد نجد بينهم في كثير من الأحيان من يمتازون بالملامح العربية الوسيمة[١] .

المناخ :

يعتبر مناخ المنطقة من أقسى أنواع المناخات في العالم فصيفه طويل وحــار جداً يستمر من أبريل إلي أكتوبر وتصل درجات الحرارة أحياناً إلي أكثر مــن (٤٥) درجة مئوية ، ويستمر فصل الشتاء من نوفمبر إلي مارس وتسود فيـــه درجــات حرارة تتراوح بين (١٠-١٥) درجة مئوية ولكن قد تنخفض درجات الحرارة في بعض الأحيان إلي ما يقارب درجة التجمد في ساعات الصباح الباكرة [٢] .

والأمطار في بلاد النوبة بصفة عامة نادرة جداً [٣] ولكن قد يغشي المنطقة أحياناً خريف غير عادي في فــصل الصيف بين شـــهري يولـــيو وأكتوبــر ويكون مصــحوباً بــسـيول وفيــضانـــات مثل الذي حــدث في عام (١٩٤٦م) وعام (١٩٨٨م)[٤] .

أما النباتات فهي فقيرة نوعاً وكماً لأنها مرتبطة ارتباطــاً وثيقــاً بتوزيــع الأمطار غير أنها غنية وغزيرة علي جانبي النيل [٥]،حيث تحيــط بــالاقليم مــن الجانبين صحراء جرداء تنعدم فيها جميع مظاهر الحياة الا في بعــض الواحــات وتعرف الصــحراء الغربية بالصحراء الليبية و الصحراء الشــرقية بــالصحراء النوبية [٦].

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣٠٣ـــ ٣٠٤.

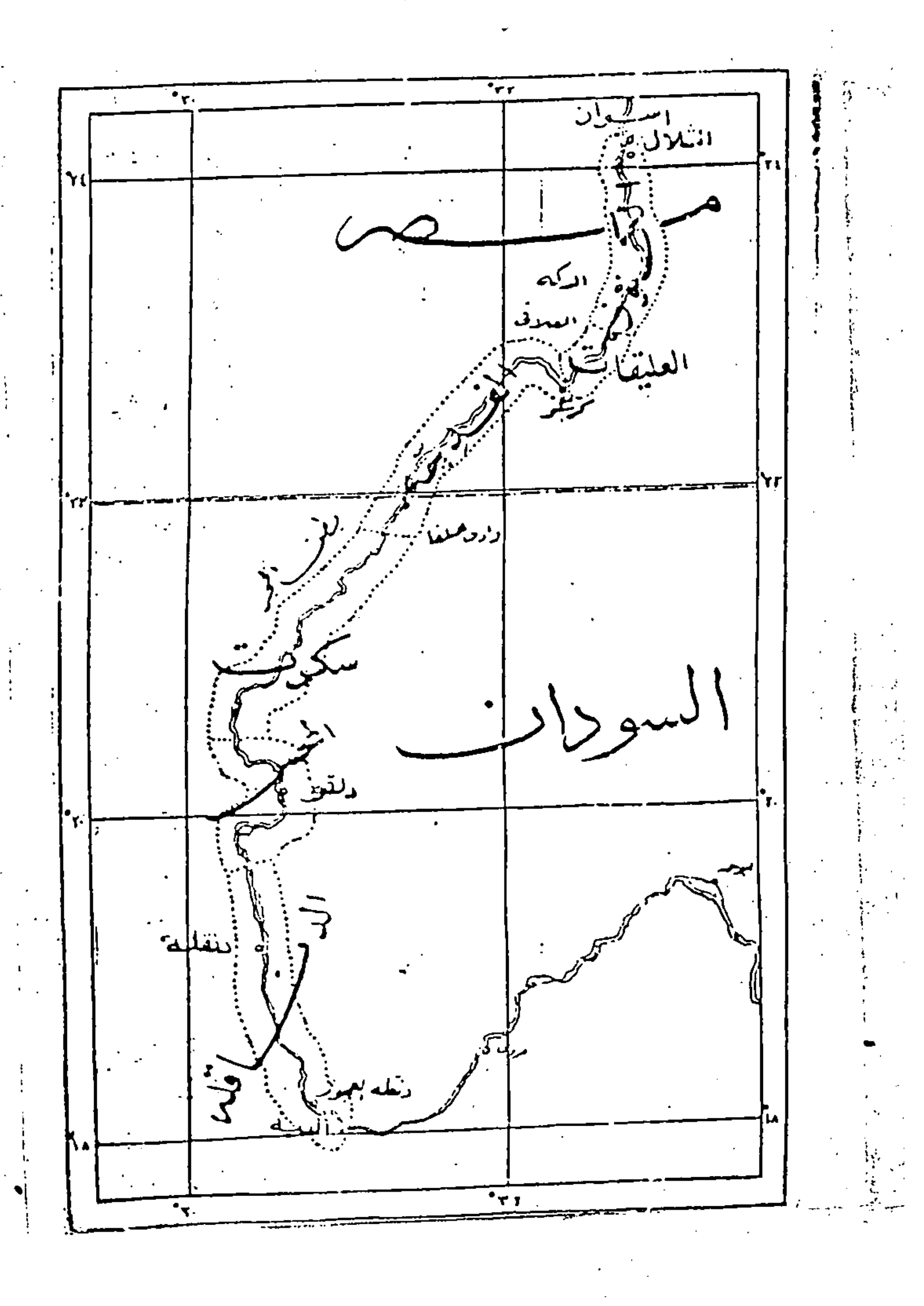
(٢) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص ٧.

(٣) المديرية الشمالية : وزارة الثقافة والاعلام ،النشاطات البشرية والموارد الطبيعية (الخرطوم ،١٩٧٢م) ، ص ٩.

(٤) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص ٧.

(٥) المديرية الشمالية ، مرجع سابق ، ص ١٠.

(٦) نفس المرجع ، ص ٧-١٠ .



خـــريطة توضح الأوطان الحالية للنوبيين (نقلاً عن : محمد عوض محمد ، ١٩٥٦م ، مرجع سابق ، ص ٣٠٢) .

الزراعة :

يعتمد النوبيون في حياتهم الاقتصادية بشكل أساسي علي الزراعة ، وكانت تروي معظم أراضيهم القريبة من النيّل بالسواقي منذ عهد قديم ، ويرجح أنها جاءت من مصر في العهد المروي حوالي القرن الثاني للميلاد [1]كما كانت تروي أيضاً بالساقية أرض المتره وهي عبارة عن حفرة تحفر بعيداً عن النيّل فتتسرب إليها المياه الجوفية وتركب عليها السواقي فتروّي بها الأرض التي حولها[2] وظلت الساقية هي الوسيلة الزراعية الوحيدة في كثير من مناطق السودان حتى عهد قريب ولما بدأت المكينات الزراعية الكبرى والصغري في الظهور حوالي منتصف القرن العشرين الميلادي طغت علي الساقية وحلت محلها [3].

ويعتبر النخيل أهم محصول زراعي في منطقة وادي النيّل وثمرها غذاء رئيسي للسكان، وأفخر أنواعها التمودة والقنديل وأكثرها إنتشاراً البركاوي [4].

وتنقسم زراعة المحاصيل إلي ثلاث دورات هي الشتوي وتمتد من شهر نوفمبر إلي مارس ، وتساعد برودة الطقس في هذه الفترة علي نمو القمح بوصفه المحصول الرئيسي والشعير والفول المصري ، والدورة الصيفية تستمر من مايو إلي أغسطس والمحاصيل الصيفية أقل أهمية لأن مستوي الماء يكون فيها منخفضاً ، كما أن ارتفاع درجة الحرارة في هذا الفصل يزيد من احتياج المزروعات للماء وتعتبر الذرة أهم محاصيل هذه الدورة ، أما الدورة الزراعية الثالثة فهي في موسم الدميرة وفي هذا الموسم تكون الزراعة أكثر سهولة نسبة لازدياد منسوب النيّل وتيسر الري إلي جانب ارتفاع نسبة الرطوبة التي تؤدي لخفض حاجة النبات للماء وتزرع في هذه الدورة محاصيل مختلفة كالذرة الشامية واللوبيا والبامية والخضروات [5].

---

(1) محمد إبراهيم أبو سليم ، الساقية ، الطبعة الأولي (الخرطوم معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية ، ١٩٨٠ م) ص ١٩٦.

(2) نعوم شقير ، مرجع سابق ، ص ١٤٣.

(3) محمد صالح علي حمزة ، دنقلا العجوز بوابة الإسلام الخالدة . (ب. ن)ص ٢٤.

(4) سامية بشير دفع الله ، تاريخ ١٩٩٨م ، مرجع سابق ص ٨

(5) المديرية الشمالية ، مرجع سابق ، ص ٢٩ــ ٣١.

هجرة النوبيين :

ظاهرة هجرة النوبيين وانتقالهم من مواطنهم قديمة ويعزي كثير من الكتاب هجرة النوبيين إلي قسوة الظروف المعيشية في بــلاد النوبة[1] ولما كان النوبــيون يعتمدون في حياتهم الاقتصادية علي الزراعة فضيق الأراضي الزراعية والحروب التي دارت بينهم وبين الشايقية في المنطقة أدت إلى تخريب السواقي مما اجــبر مجموعة كبيرة من النوبيين علي الهجرة إلي كردفان ودارفور وبربر ، وقد وجــد الرحالة براون الــذي زار دارفــور فــي الفتــرة التي بيــن (١٧٩٢-١٧٩٨م) جالية كبيرة من أهالي دنقلا بها[2] ، كما أشار أيضاً براون للدور التاريخي الــذي قام به هؤلاء النوبيون وذلك بفتحهم للطريق التجــاري المباشــر بيــن دارفــور وكردوفان[5] .

وكان للضرائب الاستبدادية في العهد التركي أثر كبير في تــرك النوبييــن لمناطقهم وخاصة في عهدي محمد علي باشا والخديوي إسماعيل حيث وصلــت مآسي الضرائب الذروة إذ مات الناس من الجوع وتركت السواقي للخراب ومــع ذلك استمرت الحكومة في جبي الضرائب[3] وقد كانت معظم هذه الهجرات إلــي كردفان وإقليم سنار حيث يشير تقرير مدير مديرية دنقلا في ســنة (١٨٣٤-١٨٣٥) إلى أن ثلثي سواقيها قد خربتا أو تعطلا وحسب إحصائياته فإن عدد السواقي فــي المديرية كان (٥٩٦٧) ساقية و (٣٠٤٠٨) ماشــية و (٢٧٢٤٧) عــامل وتفيــد إحصائية مماثلة بعد ٥ سنوات أن الأعداد قد تدنت فبلغت (٥٤١٦) ساقية و(٩٦٦) دابة و(٢١٠٦٦) عامل[4].

وذكر أمين باشا حاكم إقليم الاستوائية أثناء قيام الثورة المهديــة بعــد أن رحل إلي يوغندا وجود حوالي أربعين من الدناقلة في مديرية آمــادي ، كمــا

---

(١) حسب الله يوسف " النوبيون قبل الطوفان " الخرطوم ، ع٣ ، يناير ١٩٧٤م ص ٥٥.

(٢) و . نوكلز ، مرجع سابق ، ص ٢٥.

(٥) نسيم مقار ، الرحالة الآجانب في السودان (١٧٣٠-١٨٥١م) ،ط١ (القاهرة : مركز الدراسات السودانية ، ١٩٩٥م) ص ٣٦.

(٣) بشير كوكو حميدة ، ملامح من تاريخ السودان في عهد الخديوي إسماعيل ، ط١ (الخرطوم : كلية الدراســات العليــا ، جامعــة الخرطوم ، ١٩٨٣م) ص ٧٧.

(٤) محمد إبراهيم أبو سليم ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩.

إستقر أكثر من ٩٦ شخصاً من الدناقلة في المنطقة وبلغ تعداد السودانيين في يوغندا عام (١٩٠٩م) ٢٣ ألف ويطلق اليوغنديون عليهم اسم النوبة مما يدل علي أنهم لم يذوبوا في المجتمع اليوغندي[١] .

وتعد فترة المهدية أكثر الفترات التي شهدت هجرات النوبيين فقد كان تعداد سكان مديرية دنقلا قبل قيام الثورة المهدية يقدر بنحو ٧٥ ألف نسمة وبلغ تعدادهم بعد الفتح الإنجليزي المصري ٦٣ ألف نسمة ويبدو أن لمجاعة سنة (١٣٠٦هـ) التي اجتاحت المنطقة أثراً كبيراً في هذه الهجرة [٢] .

وعندما فرضت ضريبة الدولة علي المزارع نقداً منذ الفتح المصري بدأ النوبيون يبحثون عن مصادر اقتصادية جديدة غير الزراعة لتوفير المال ، فأخذت الأسر ترسل أبناءها إلي مدن مصر وأواسط السودان بينما يواصل الآخرون الزراعة غير أن العائد المادي لهؤلاء المهاجرين لم يكن كبيراً لأنهم لم يعرفوا غير مهنة الزراعة لذا التحقوا بالمهن البسيطة [٣].

ونسبة لضيق الأراضي الزراعية في إقليم المحس أخذ المحس يهاجرون بصورة جماعية ونزحوا عن أوطانهم إلي أوطان جديدة فأصبحوا يحتلون جزيرة توتي والعيلفون وفي هاتين المنطقتين استعرب المحس وأصبحوا لا يختلفون عن جيرانهم العرب ونسوا لغتهم النوبية [٤] .

وأهم هجرة للنوبيين في العصر الحديث هي هجرة أهالي حلفا إلي خشم القربة عام (١٩٦٤م)[٥] حيث بلغ عدد الذين تم ترحيلهم ٥٣,٢٧٤ نسمة من بينهم ١٧,٤٥١ ذكراً و٢١,٠٢٧ من الإناث [٦] .

---

[١] عبد الرحمن أحمد عثمان "الجاليات العربية والإسلامية في أفريقيا" دراسات أفريقية ع٨ ، ديسمبر ١٩٩١م ، ص ١١٠–١١١.

[٢] مكاوي علي أحمد خاطر "عمالة دنقلا في عهد الدولة المصرية (١٣٠٢ –١٣١٤هـ– ١٨٨٥– ١٨٩٦م)" (رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أمدرمان الإسلامية ، كلية الآداب، ٢٠٠٠م ، ص٢٣١

[٣] محمد إبراهيم أبو سليم ، مرجع سابق ، ص، ٣٠٧.

[٤] محمد عوض محمد ، ١٩٦٥م ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣.

[٥] إسماعيل حسين "تهجير أهالي حلفا" دراسات سودانية ، تصدرها شعبة أبحاث السودان ، جامعة الخرطوم ، ع١ ، مج ٢ ، مارس ١٩٧٠م ، ص١١٣.

[٦] متوكل أحمد آمين ، مرجع سابق ، ص ١٢٢.

والسبب الأساسي في هجرتهم من المنطقة هو إبرام إتفاقية مياه النيل عام (١٩٥٩م) والتي منحت مصر حق إقامة مشروع السد العالي علي أن تقوم الحكومة السودانية بالإجراءات اللازمة لترحيل سكان حلفا وغيرهم من الذين يتوقع غرق أراضيهم[١].

وفي الأونة الأخيرة إزدادت هجرة النوبيين من مناطقهم رغم وجود مشاريع زراعية ضخمة نسبة لإزدياد أعدادهم ونظام الميراث الإسلامي الذي يقسم الأرض للوارثين فتصغر الرقعة المعطاة للفرد كلما كثر الوارثون ، فالفدان الذي كان يعتمد عليه سبعة أشخاص قبل ثلاثين عاماً أصبح مورداً لرزق سبعين شخصاً ، فلم يكن هناك مفر غير الهجرة إما للمدن الكبيرة أو خارج السودان[٢] ، وخاصة دول الخليج العربي.

وهنالك أسباب أخري للهجرة للمدن الكبيرة في السودان منها السعي وراء الكسب المادي والغنى وذلك بالعمل في التجارة إلي جانب طلب العلم فعندما يتحصل النوبي علي ثروة ضخمة أو مصدر اقتصادي معقول أو مركز إداري مرموق في مدينة ما سرعان ما يقوم بجلب أهله إليها ، وهم يعيشون في هذه المدن في شكل تجمعات كبيرة مثل حي الدناقلة وحلة المحس ، بمدينة الخرطوم بحري وفي تجمعات صغيرة فكل أهل قرية يقطنون في منطقة معينة أطلقوا عليها اسم قريتهم، الأصلية وانشأوا فيها النوادي التي تجمعهم في المناسبات مثل الزواج والأعياد والتي يمارسون فيها نفس عاداتهم وتقاليدهم التي جاءوا بها من مناطقهم مع بعض الاختلافات التي تفرضها البيئة الجديدة .

---

(١) نفس المرجع ، ص ١١٥

(٢) محمد يوسف بانقا ، عبد المنعم عبد الرحمن "ديناميكية الثقافة ، دور الثقافة في التنمية الإقتصادية "الثقافة السودانية ، نوفمبر ١٩٧٦م ، ص ٨٦.

الفصل الثاني

اللهجة الدنقلاوية وصلتها

باللغات السودانية القديمة

تمهيد :

تبلورت عدة أراء حول اصل اللغات ونشأتها منها أن البعض يرى أصل اللغات أمر توقيفي ، بمعنى أن اللغة هبة من عند الله سبحانه وتعالى بدليل قوله تعالى : " وعلم آدم الأسماء كلها ..."[١] حيث فسروا هذه الآية بأن الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والعبرانية وغيرها ، فكان آدم وولده يتكلمون بها ، وعندما تفرق ولده في أرجاء الدنيا علق كل واحد منهم بلغة من تلك اللغات ثم آخذها عنه أبناؤه ، وهكذا تعددت اللغات[٢]

ويزعم بن جني " إن أصل اللغات جميعها إنما هي من المسموعات كدوي الريح، وخرير الماء وشحيح (نهيق) الحمار ، ونعيق الغراب ، ونزيب الظبي ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد "[٣] .

أما الرأي الثالث فيرى أصحابه أن اللغة من وضع الإنسان نفسه بطريق الاصطلاح والاتفاق بين أهل البيئة على استعمال الألفاظ المبتكرة للدلالة على ما اتفقوا عليه من معان ومدلولات ، ولهم رأي آخر في تفسير الآية التي اعتمد عليها أصحاب الرأي التوقيفي ، فيذهبون إلى أن الآية الكريمة تعني أن الله سبحانه وتعالى الهم آدم إلى وضع اللغة أو وضع فيه الطاقة والاستعداد لان يبتكر لنفسه لغة يتواضع عليها الناس ويصطلحون فيما بينهم على استعمالها [٤] ، ويقول أصحاب هذا الرأي بان وجود عدد محدود من الألفاظ التي تحاكي أصواتها أصوات الطبيعة وهو أمر وارد في كل اللغات[٥] .

وإذا أخذنا بالرأي الأخير الذي يربط نشوء اللغة بنشوء المجتمع ، ولأن أي مجتمع عند تكوينه محاط بظروف اجتماعية وجغرافية وتاريخية متباينة ، لذا

---

(١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية ٣١ .

(٢) أبي الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، جمع وتحقيق : محمد على النجار ، ج١ ، ط٢ ، (بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر)، ص٤١ .

(٣) نفس المرجع ، ص٤٦-٤٧ .

(٤) نفس المرجع ، ص٤٨-٤٩ .

(٥) كمال محمد بشير، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة ، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥م) ، ص٤٧ .

سنتناول في هذا الفصل الظروف الاجتماعية والجغرافية والتاريخية التي نشــأت فيها اللغات السودانية القديمة واصل اللغة النوبية القديمة واهم مراحل تطورهـــا ، وصلة اللهجة الدنقلاوية بهذه اللغات .

اللغات السودانية القديمة :

بداية تاريخ اللغات السودانية يشوبها الغموض وعدم الوضــوح لأن كــل المعلومات عن اللغة التي كان يتحدث بها أهل السودان مجهولة لدينا ، وهل هــي كانت لغة واحدة؟ أم عدة لغات ؟ ، ويشمل هذا الغموض أهم الفــترات الكوشــية الأولى ، والتي ازدهرت فيها مملكة كرمة زهاء سبعة قرون مستقلة حتــى بســط المصريون حكمهم على المنطقة في زمن الدولة الحديثــة (١٥٧٠ - ١٠٨٠ ق.م) ، ونسبة للمجهود المركز الذي قامت به الإدارة المصرية لنشر الثقافة المصريــة غدت اللغة المصرية وخطها الهيروغليفي هي اللغة الرسمية بالمنطقة[١] وان كــان هناك الكثير من الدلائل تشير إلى لغات خاصة كان يتخاطب بها سواد الناس فــي السودان القديم منذ القرن الثامن قبل الميلاد وظلت هذه اللغات غير مكتوبة لقــرون طويلة من الزمن ثم صارت تكتب إحداها على الأقل في وقت ما بيــن القرنيــن الثالث والثاني قبل الميلاد وعرفت فيما بعد باللغة المروية [٢] .

كتابة اللغة المروية:

كانت كتابة اللغة المصرية القديمة بخطها الــهيروغليفي مســتخدمة فــي السودان القديم حتى بعد استقلاله عن الحكم المصري وقيام مملكة نبتة وذلك نتيجة لتأثير الثقافة المصرية على المنطقة ، ولكن بعد تحول العاصمة مــن نبتــة إلــى مروي ، ثم انتقال مدافن الملوك من نوري إلى البجراوية في نهاية القرن الرابــع قبل الميلاد تقريبا* بدأت الروابط الثقافية مع مصر تضمحل بالتدريج ، واصبــح

---

[١] أحمد محمد علي حاكم ، مرجع سابق ، ص٨٢ .

[٢] عبــد القادر محمــود عبدالله ، اللغة المروية ماهي ؟ ابجديتها ، طبيعة كتابتها ، قصة فك رمــوز خطــها ، ط١ ج١ (الريــاض ، ١٩٨٦ م) ص ٢٨.

* أشار المؤتمر الأول للدراسات المروية المنعقد في برلين عام ١٩٧١م إلى أن تبداية الفترة المروية قد كانت في القرن الرابع قبــل الميــلاد وذلك لتحول مقابر الأسرة الحاكمة من نوري قرب نبتة إلى مروي نفسها (انظر: عبد القادر محمود عبدالله ١٩٨٦م ، مرجع ســابق ، ص٢٠) .

المرويون يواجهون صعوبات تزيد جيلا بعد جيل في الاحتفاظ بقدراتهم على الكتابة باللغة الهيروغليفية المصرية[1] ، فاخذوا يستعملون الحروف الهيروغليفية في كتابة الكلمات المروية ولا يعرف على وجه التحديد بداية تاريخ هذه الكتابة وذلك لعدم توفر المادة المكتوبة التي تشير لفتراتها الأولى ، ويرجع أقدم نقش بالخط المروي عثر عليه حتى الآن إلى القرن الثاني قبل الميلاد وهو حجر منقوش عليه اسم الملكة السودانية شنكداخيتو[2] ، وكانت هذه هي المرحلة الأولى في كتابة اللغة المروية والتي أطلق عليها العلماء اسم اللغة المروية الهيروغلوفية وفي هذه المرحلة كانت اللغة المروية تتكون من ثلاثة وعشرين حرفا .

ولم تقف جهود المرويين عند هذا الحد بل واصلوا مثابرتهم حتى اهتدوا إلى ابتكار حروف جديدة يكتبون بها لغتهم وهي مستغلة عن حروف الهيروغليفية المصرية [3] وأطلق عليها الدكتور عبد القادر محمود عبد الله اسم الخط المختزل [4] ، وكذلك تحتوى هذه الكتابة أيضاً على ثلاثة وعشرين حرفا **مدرجة فيما يلي بالجدول :**

الرقم	الرمز		القيمة الصوتية	
	المختزل	الهيروغلوفي	اللاتينية	العربية
١	[illegible]	[illegible]	A	ا
٢	[illegible]	[illegible]	E	كسرةأوإ(ألف مكسورة)
٣	/	[illegible]	O	وْ (واو مدّة)
٤	[illegible]	[illegible]	I	يــْ (ياء مدة)إ(همزة مكسورة)
٥	[illegible]	[illegible]	Y	يــ(حرف ساكن)

---

(١) سامية بشير دفع الله " اللغة المروية " الوثائق ، ع٢ ، نشرة رقم ٧ ، يناير ١٩٧١م ، ص١٠ .

(٢) عبد القادر محمود عبد الله ، ١٩٨٦م ، مرجع سابق ، ص١٤٩-١٥٠ .

(٣) نفس المرجع ،ص ١٢ .

(٤) عبد القادر محمود "كتابة اللغة المروية " كلية الآداب ، تصدرها جامعة الخرطوم ، كلية الاداب ، ١٩٧٢م، ،ص ١٢٣ .

و(حرف ساكن)	W			٦
بِ	B			٧
بِ	P			٨
م	M			٩
ن	N			١٠
نّ (مغنّنة)	N			١١
ر	R			١٢
ل	I			١٣
خ	H			١٤
خ	H			١٥
س	S			١٦
ش	Ś			١٧
ك	K			١٨
ق	Q			١٩
ت ،	T			٢٠
تِـــ(تاء مكسورة)	Te			٢١
تُوّ	To			٢٢
د	D			٢٣
فاصلة بين الكلمات	Word divider			٢٤

(نقلا عن : عبد القادر محمود عبد الله ، مرجع سابق ، ١٩٨٦م، ص ر– ش)

ويجب ألا نفهم ان ارتباط وتأثر كتابة اللغة المروية باللغة المصرية القديمة على أنها مجرد كتابة مقتبسة عن المصرية بل كـــانت نتيجـــة لإدراك المروييـــن لطبيعة الكتابة المصرية بخطوطها الثلاثة الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقيـة واخراجها في صورة محلية تحوى أصوات اللغة المروية ، وقد خرج إلينا الدكتور

عبد القادر محمود بعد دراسته للغتين المصرية والمروية بعدة ملاحظات **تؤكد هذه الحقيقة وهى :**

١- ان اللغة المروية تشابه اللغة المصرية القديمة في أنها كتبت بخطين هيروغليفي ومختزل .

٢-ان الكتابة المروية الهيروغلوفية مكتوبة هجائيا إطلاقا بخلاف المصرية الهيروغلوفية .

٣-أن الكتابة المروية الهيروغلوفية متأثرة بالهيروغليفية المصرية في إنها أدخلت في حروفها الهجائية حروفا هجائية مصرية ورموزا من خارج الحروف الهجائية المصرية ورموزا خليطا من الهجائيتين .

٤- ان الكتابة المروية (المختزلة) بصورة عامة أما هي منحدرة أصلا من الديموطيقية المصرية رأسا أو ملتقية معها في اصل هيراطيقي متقدم أو متأخر عهدا .

٥- ان الكتابة المروية تخالف الكتابة المصرية في استغنائها عن الرموز متعددة الأصوات من خارج حروفها الهجائية وما كان ذا صوتين في المروية فانه داخل في حروفها الهجائية .

٦- ان اتجاه كتابة وقراءة المروية الهيروغليفية يغاير اتجاه كتابة وقراءة المصرية الهيروغليفية حيث تبدأ في المروية من مؤخرة المرسومات وتنتهي في عكس اتجاهها ، أما اتجاه وقراءة المروية المختزلة فهو من اليمين مثل اتجاه كتابة وقراءة الديموطيقية .

٧- ان الكتابة الهيروغلوفية استغنت عن مخصص ومميز المعنى المعروف في المصرية الهيروغلوفية والهيراطيقية [1] .

---

[1] عبد القادر محمود ، ١٩٧٢م ، مرجع سابق ، ص ١٣٩-١٤٠.

واستمرت الكتابة بالخط المزوي حتّى أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادي [١] .

اللغة النوبية القديمة :

حلت اللغة النوبية محل اللغة المروية وأصبحت اللغة الرسمية للممالك النوبية في القرن السادس الميلادي وعرفت باللغة النوبية القديمة عند علماء الدراسات النوبية [٢] ، وقد اختلف العلماء في أصل اللغة النوبية والاسرة اللغوية التي تنتمي اليها فمنهم من قال مثل راينش (Reinch) أنها من السلالة الحامية ودخلتها مؤثرات أجنبية[٣] .

ويعتقد مري (G. W, Murry) واخرون أنه رغم التأثير الشديد للغات الحامية على اللغة النوبية ، من ناحية المفردات أو النحو والصرف إلا أن هناك اختلافا كبيرا بينهما في النظام الصوتي وهي تماثل في هذا الجانب اللغات النيلية في جنوب السودان مما يشير إلى أن اللغة النوبية نيلية الأصل تعرضت لمؤثرات حامية شديدة [٤] .

ولعل أكثر الآراء رواجا عند الباحثين ذلك الرأي الذي يربط انتشار اللغة النوبية في وادي النيل بهجرات الجماعات البشرية والتي أطلق عليها اسم النوبة إلى منطقة في القرون الأولى للميلاد والتي جاءت من جهات كردفان الحالية ، ويعتقد أن اللغة النوبية نشأت في تلك المناطق ثم انتقلت مع هؤلاء المهاجرين إلى وادي النيل [٥] .

وتعضد سامية بشير دفع الله هذا الرأي بنظرية اللغويين القائلة أن الصغير هو الذي يتحرك وبما أن الذين يتحدثون اللغة النوبية في وادي النيل أكثر عددا من المجموعات التي تتحدث بها في بعض المناطق المحدودة بكردفان ودارفور فترى أن هذه اللغة وفدت من تلك المناطق ، كما أن البعض يصنف اللغة النوبية ضمن

(١) أحمد محمد على حاكم ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٢) مختار خليل كبارة , اللغة النوبية كيف نكتبها ؟ , ط١ (القاهرة : مركز الدراسات النوبية والتوثيق , ١٩٩٧م) ص ١٩.

(٣) نفس المرجع ، ص٤٨-٤٩ .

(٤) محمد عوض محمد ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

5) Murry, G. W , An English – Nubian Comparative dictionary, Vol V (New york, 1960) P. In.

اللغات النيلية الصحـــراوية (الفرع السوداني الشـــــرقي)• والــذي يفــترض أن أصحابها مــن الزنوج [١] .

ولكن عددا كبيرا من الباحثين يعتقدون أن وجود هذه اللغة بالمنطقـــة أقــدم بكثير من الفترة التي ظــهرت فيــها المجموعـــة الثقافيـــة (X) (٣٠٠-٥٥٠م) ، لان اللغة النوبية ما زالت تحتفظ في ثروتها اللغوية بمفردات كثيرة استعيرت عــن اللغة المصرية القديمة ، تشير طريقة النطق بها إلى زمـــن انتقالـــها مـــن اللغـــة المصرية القديمة في عصور الدولة الحديثة والعصور التالية لها إلـــى النوبيـــة[٢] مثل:

اللغة المصرية القديمة	اللغة النوبية	اللغة العربية
Nub (Nbw)	Nab	الذهب
Sefid	Sewid	السيف
Oor•	Oor	الملك
Ael	Wel	الكلب
[٣] Nubety	Nubet	البرش

إضافة إلى ذلك فان بعض مسميات الأماكن وأسماء الملوك تعود إلـــى تلـــك الفترات•

ويميل الباحث في تفسير هذه الظاهرة إلى أن الجماعات النوبية التي جـــاءت إلى وادي النيل في القرون الأولى للميلاد من الجماعات القديمة ذات الصلة بوادي النيل فأخذوا بعض مفردات اللغة المصرية القديمة التي كانت سائدة بالمنطقة فـــي

• تصنف اللغات الافريقية إلى اربعة اسر لغوية رئيسية وهي اللغات الافرو آسيوية ، النيجر الكردفاني ، النيلية الصحراوية والخويسان (انظر : ج . هــ .غرينبيرغ " تصنيف لغات أفريقيا" ، في تاريخ أفريقيا العام ، تحرير جون افريك ، ج١ (باريس : اليونسكو ، ١٩٨٣) ، ص ٣٠٩ - ٣١٦) .

(١) سامية بشير ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص١٢٠ .

(2) مختار خليل كبارة ، ئ ، ص١ ، هامش ٣ .

• هذه الكلمة شبيهة بالكلمة المروية (Qor) والتي تشير إلى نفس المعنى (انظر: (Steffen, W, Opcit, P 218)).

(٣) محمد متولى بدر ، اللغة النوبية (القاهرة ، ١٩٥٥ م) ص ٤٦-٤٧.

• ومن المحتمل أن اللغة النوبية هي التي اثرت على اللغة المصرية القديمة (انظر : ص ٤٤) .

زمن الأسرة المصرية الحديثة وخاصة أن عدداً من الباحثين يفسرون زوال المعالم المادية لحضارة المجموعة (C) بهجرة أهل هذه المجموعة من المنطقة ومنهم فرث (Firth) الذي يرى أن الضغوط الاقتصادية والسياسية الشديدة التي مارسها المصريون على السكان المحليين اضطرتهم للهرب إلى مناطق تقع خارج دائرة النفوذ المصرية(١) .

وعزز أدمز (W. Y, Adams) نظرية الهجرة هذه بعمل إحصائية للقبور المكتشفة في المنطقة فوجد أن هناك تناقصاً مستمراً في عدد القبور المصرية والمحلية حتى انه في زمن الأسرة العشرين كان عدد القبور لا يزيد عن مائة قبر فقط في كل الجبانات(٢) .

ويرفض تريقر (B.G Trigger) هذا الرأي ويعزي عملية اختفاء المعالم المادية لحضارة المجموعة(C) إلى عملية تمصير السودانيين ، ويرى أنه برغم القهر والاضطهاد الذي مارسه المصريون إلا أن قوة قبضتهم على المنطقة يجعل أمر هجرة السكان المحليين في غاية الصعوبة(٣)، ولكن تريقر نفسه يعجز عن إيجاد تفسير لظاهرة الخلو الآثري الذي ذكره أدمز(٤) وترى سامية دفع الله أن عمليتي التمصير والهجرة كانتا تحدثان في آن واحد فبينما ازداد التمصر في بعض المراكز ووسط بعض المقربين للمصريين في نهاية فترة الأسرة العشرين حدثت هجرة كبيرة خلقت ظاهرة الخلو الآثاري الذي يتحدث عنها علماء الآثار(٥) ، وربما كان هؤلاء المهاجرين هم نفس النوبيين الذين جاءوا إلى وادي النيل في القرون الأولى للميلاد تحت ظروف ما زالت مجهولة حاملين معهم لغتهم القديمة(٦) والتي أصبحت إحدى لغات المنطقة إلى جانب لغة البليميين واللغة المروية السائدة

(1) Firth, C . M , The A rchaoglogical Survey Nubia Report for 1910-1911 (Cairo, 1927) PP 25-28.

(2) Adams , W. Y , Past – Pharaonic Nubia in the light of Archaeology , J. E . A, 50 , 1964 , P1.6.

(3) Tirgger , B .G, Nubian under Pharaoha (London , 1967) PP 131-135.

(٤) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص٢٩٦ .

(٥) نفس المرجع السابق ، ص٢٩٨ .

(٦) طيبة محمد عثمان ياسين " زخرفة المنزل في النوبة " (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، ١٩٩٩م ، ص٤-٥ .

آنذاك نسبة لسيادة الدولة المروية، وعندما أخذت الدولة المروية في الاضمحلال ، وقامت الممالك النوبية في القرن السادس الميلادي وأصبحت اللغة النوبيـــة هـــي اللغة الرسمية لسكان وادي النيل*(١).

كتابة اللغة النوبية :

أما كتابة اللغة النوبية فقد بدأت في فترة متأخرة نسبيا فعندمـــا اســتطاعت المجموعات النوبية السيطرة علي الأوضاع السياسية في وادي النـــيل لـــم تكـــن لهـــم كتابة خاصة بهم في البداية .

وقد لعبت الكنيسة دوراً رئيسياً في استخدام الممالك النوبية للكتابـــة حيـــث عملت الكنيسة المصرية علي إنشاء العديد من المراكز والمؤسسات التي ترعـــي اللغة الإغريقية لغة العلم والدبلوماسية في تلك الفترة فكان لابد لزعماء حضارة ما بعد مروي من الاستعانة ببعض الكتاب لكتابة المراسلات الرسمية التي هي مـــن مقتضيات العمـــل الدبلومـــاسي والإداري مع بعضها البعض أو مع الرومـــان في مصر(٢) .

وبعد أن أصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية للممالك النوبية في القـــرن السادس الميلادي شاع في المستويين السياسي والديني استخدام اللغتيـــن القبطيـــة والإغريقية والسبب في ذلك يرجع إلي أن المبشرين المسيحيين كانوا يتبعون إلـــي إحدى الكنيستين اليعقوبية ولغتها القبطية أو الملكانية ولغتها الإغريقية (٣) ، ثم اخـذ النوبيون بعد أن أتقنوا اللغتين أخذوا يستخدمون حروفهما في كتابة لغتهم الخاصـــة حيث كتبت اللغة النوبية بالأبجدية اليونانية ما عدا حرف واحد يظن أنـــه مـــروي ومن المرجح أن هذا الحرف هو (خ) الذي لحق به تحور في عهد ما بعد مـــروي

---

(1)* Mnaal . M . O , "The Archeologia of the Nile Nubian Language" (M.A)Instute of African Asian Studies , University of Khartoum , Jan 1994, P 15.

(٢) محمد مهدي إدريس "البنيات الاجتماعية والثقافية في حضارة ما بعد مروي (٣٥٠ــ٥٨٠م) " (رسالة دكتوراه غير منشـــوره) كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، يوليو ٢٠٠٠م ، ص١١١.

(٣) س. باكو بيلسكي "النوبة المسيحية في أوج إزدهارها وحضارتها" في تاريخ أفريقيا العام ، تحرير : م . الفاسي و أ . هربك ، ج٣، اليونسكو ، ١٩٩٤م ، ص ٢٤٥.

واخذ شكلاً آخر في اللغة النوبية القديمة يعبر عنه الحرف الأنفـــي ذي الصــوت (نق)[1] وفي ذلك مشـــابهة كبيرة للكتابة القبطية [2] التي كتبت بأحرف يونانيـــة منذ القرن الثالث الميلادي[3] ، وبالرغم من أقدم نص كتب باللغة النوبيـــة إلـــي القرن الثامن الميلادي ورغم ذلك يري بعض المؤرخين أن اللغة النوبية استخدمت كلغة كتابة رسمية في أواخر القرن العاشر الميلادي [4] .

وفيما يلي قائمة بحروف الأبجدية النوبية القديمة مع يماثلها من الأصوات من حروف اللغتين العربية والإنجليزية :-

الرقم	اللغة النوبية	اللغة الإنجليزية	اللغة العربية
١	ⲁ	A	أ الفتح
٢	ⲃ	B	ب
٣	ⲅ	G	ج
٤	ⲇ	D	د ، ض
٥	ⲉ	E	أ ممالة على السكون قصيرة
٦	ⲍ	Z	ذ ، ز ، ظ
٧	ⲏ	E	أ ممالة على السكون الطويلة
٨	ⲑ	Th	ث
٩	ⲓ	I	الكسر
١٠	ⲕ	K	ك ، ق
١١	ⲗ	L	ل
١٢	ⲙ	M	م

(١) محمد مهدي ادريس ، مرجع سابق ، ص ١١٣ .

(٢) عبد القادر محمود عبد الله ، ١٩٨٦م المروية ، مرجع سابق ،ص ٧٤.

(٣) جورجي صبحي ، قواعد اللغة المصرية القديمة ، (القاهرة ، ١٩٣٥م) ، ص٦ .

(٤) مصطفى محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

١٣	Ν	N	ن
١٤	Ξ	V	ك + س
١٥	Ψ	P+S	ب + س
١٦	Ο	O	أ ممالة على الضم قصيرة
١٧	Π	P	ب
١٨	Ρ	R	ر
١٩	C	S	س ' ص
٢٠	Τ	T	ت ' ط
٢١	Υ	U	الضم المشدد
٢٢	Φ	Ph	ف
٢٣	Χ	Kh	خ
٢٤	Ϣ	Ô	أ ممالةعلي الضم طويلة
٢٥	Ϣ	Sh , š	ش
٢٦	Ϩ	H	هـ ' ح
٢٧	Ϭ, Ϭ	I , G	ج ' تش
٢٨	F	}	نق ' نج
٢٩	Ⲝ	Ñ	نج
٣٠	ΟΥ	W , U	و ' الضم المشدد

(نقلا عن : مختار خليل كبارة ، مرجع سابق ص٧٦– ٨٧)

ونلاحظ في التاريخ الكتابي السوداني ارتباطه بالتاريخ الكتابي لمصر بصفة ويعزى ذلك إلى الصلة الثقافية الوثيقة بين البلدين[١] ويتجلى هذا الارتباط بصورة واضحة في كتابة اللغة النوبية التي اتخذت الحروف اليونانية في الكتابة مثل الكتابة القبطية ، واستمرت اللغة النوبية مكتوبة حتى القرن الثالث عشر الميلادي[٢] .

---

[١] عبد القادر عبد الله ، ١٩٧٢م ، مرجع سابق ، ص١٢٥ .

[٢] مختار خليل كبارة ، مرجع سابق ، ص١٣ .

صورة من مخطوط باللغة النوبية القديمة (نقلاً عن : مختار خليل كبارة ، مرجع سابق ، ص ٩٢) .

اللهجات النوبية :

كانت للهجرات العربية اثر كبير في انتشار اللغة العربية في بلاد النوبة وانحسار اللغة النوبية في المناطق التي تقع جنوب الشلال الرابع إلا إنها ظلت باقية حتى اليوم في المنطقة الواقعة بين الشلالين الأول والرابع وتعرف باللهجات النوبية النيلية(١) .

ومن أسباب بقاء اللغة النوبية فقر هذا الإقليم وضيق أراضيه الصالحة لزيادة السكان مما جعله لا يحتمل جماعات كثيرة من المهاجرين دفعة واحدة فاضطروا للنزول في جماعات صغيرة وتعلم اللغة النوبية حتى يستطيعوا التعايش مع السكان المحليين(٢) ، وتتميز اللهجات النوبية النيلية بتفرعها الي اربع او خمس لهجات مختلفة هي الكنزية والفديجة والسكوت والمحسية والدنقلاوية(٣) ، فيما يرى الدكتور مختار خليل أنها تقسيمات ظاهرية ويمكن ردها إلى قسمين أساسيين هما :

الأول : الكنزي – الدنقلاوي ، ويعرف باللهجة الدنقلاوية الكنزية .

الثاني : المحسي – السكوت– الفديجة ، ويمثله اللهجة المحسية .

ويرتبط كل فرع من فروع هذا التقسيم ببعضه البعض ارتباطا وثيقا حتى لا يكاد المرء يلحظ ما بينهما من فروق ضئيلة(٤).

اما الاطار الجغرافي لهذه اللهجات فهو على النحو التالي :

الأول: اللهجة المحسية :

تمتد المساحة التي تشملها من ابريم شمالا حتى كرمة جنوبا .

الثاني : اللهجة الدنقلاوية – الكنزية :

تمتد المساحة التي تشملها من اسوان جنوب مصر وحتى شمال الشلال الرابع بشمال السودان باستثناء المنطقة التي تحتلها اللهجة المحسية (٥).

---

(١) مختار خليل كبارة ، مرجع سابق ، ص ٢٢– ٢٣.

(٢) محمد بدر متولي ، مرجع سابق ، ص ٢٩.

(٣) مختار خليل كبارة ، مرجع سابق ، ص ٢٣.

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٣.

(٥) أسماء محمد إبراهيم ، "مقترح لكتابة اللغة النوبية" (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الافريقية والاسيوية ، فبراير ٢٠٠٢م ، ص ٢٤.

اللهجة الدنقلاوية واللغة النوبية القديمة :

ذكرنا ان اللغة النوبية اخذت في الانحسار بعد انتشار اللغة العربية في السودان الأوسط وان اللغة النوبية تفرعت إلى عدة لهجات ، وقد اختلف العلماء حول اقرب لهجة الي اللغة النوبية القديمة فيزعم شيني ان اللهجة المحسية (نوبين) التي يتكلم بها النوبيون الذين يسكنون بين الشلال الثاني وابي فاطمة في الشلال الثالث وثيقة الصلة باللغة النوبية القديمة[١] ، بينما يرى محمد متولي بدر ان اللهجة الدنقلاوية هي اقرب اللهجات الي اللغة النوبية القديمة **لثلاث أسباب :**

الأول : ان المتكلمين بهذه اللهجة اكثر عدداً من المتكلمين باللهجة المحسية.

الثاني : ان اللهجة الكنزية فرع من فروع اللهجة الدنقلاوية.

الثالث : ان أسماء الأماكن التي ترجع إلى اصل نوبي في المناطق الواقعة جنوب دنقلا في السودان الاوسط اقرب الي اللهجة الدنقلاوية[٢] ، **مثل:**

مزبقيلا بجنوب الحاج عبدالله واصلها(مس –ن– قيلا(Misl-N-Geala) وتعني العين الحمراء .

وسنار واصلها (اس– ن – ارت)(Essi-N-Arty) وتعني جزيرة الماء او الاخت[٣]، وقد تعني ايضاً (Assi-N-Ar) محبس الماء[٤] .

ويعتقد الباحث أن الرأي الأخير هو الأقرب للرجحان اذا أخذنا بصحة الفرض الذي يقول بان اللغة النوبية هي لغة المهاجرين النوبيين لان النوبة الاوائل الذين جاءو الي وادي النيل في القرن الثالث قبل الميلاد والذين ذكرهم اراتوثينس قد وصلوا اولاً الي منطقة الدبة[٥]، وربما استقروا في مناطق دنقلا **لسببين :**

الأول : خصوبة اراضي المنطقة وسعتها.

---

(١) ب. ل . شيني ، مرجع سابق ، ص ١٨.

(٢) محمد متولي بدر ، مرجع سابق ، ص ٤٨– ٤٩.

(٣) نفس المرجع ، ص ٣٣.

(٤) محمد عوض الله حمزة ، مرجع سابق ، ص٢٠ .

(٥) Strabo , Opcit , P 7.

الثاني : لان منطقة دنقلا هي اقرب النقاط في النيل للقـادمين مـن جهـة الغرب وخاصة القادمين عبر وادي النيل الملك[١] .

ولاشك أن هؤلاء المهاجرين الأوائل قد نقلوا معهم لغتهم الي مناطق دنقـلا واسسوا فيها مملكة المغرة بينما كانت الهجرات الي شمال دنقلا متاخرة نسبيا ومن هذه الهجرات هجرة النباطيين الذين جلبهم الامبراطور الروماني دقليانوس فـي نهاية القرن الثالث الميلادي[٢] ، والذين اقاموا مملكة نوباتيا التي اتحدت فيما بعـد مع مملكة المقرة،وأصبحت دنقلا هي العاصمة الموحدة ومركز الثقل الثقافي ومـن الطبيعي أن تصبح لهجة المقريون وهي اللهجة الدنقلاوية هي اللغة الرسمية فـي المملكة الموحدة والتي عرفت باللغة النوبية القديمة لان أي لهجة ترتفع إلى مرتبـة لغة قومية رسمية نتيجة لعدة عوامل منها العامل السياسي والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن لهجة اهل مدينة روما أضحت لغة الرومان القومية والأدبية بفضل مركـز روما العسكري والسياسي وانتشرت في العالم نتيجة الانتصارات العسكرية التـي أحرزها الجيش الروماني[3] ويمكننا أن نقيس على ذلك لهجة المقريين سـكان مدينة دنقلا .

علاقة اللهجة الدنقلاوية باللغات السودانية القديمة :

حاول بعض العلماء أن يجدوا صلة بين اللغة المروية وبعض اللغات التـي أعقبتها خاصة اللغة النوبية القديمة لان اللغتين كانتا في منطقة جغرافية واحـدة ، وقد اجتهد عدد من الباحثين فـي تحديـد هذه العلاقة اللغوية وأولـهم رتشـارد لبسـيوس (R. SLepsius) الذي أعتقد بالأصل السوداني الشرقي للغة المروية وأنها أم اللغة النوبية وتبعه في ذلك هاينرش بروجش (H.Brugsch) الذي كـان مؤمنا بوجود علاقة ما بين اللغتين بدليل لجوئه للغة النوبية القديمة في فك رموز اللغة المروية [٤].

---

[١] سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٦ م ، مصدر سابق ، ص١١٩.

[٢] Procopius , Opcit , P 185.

[٣] أنيس فريحة ، اللهجات وأسلوب دراستها (بيروت : دار الجيل ، ب . ت) ص ٨٠ – ٨١.

[٤] عبد القادر محمود عباد الله ، ١٩٨٦م ، مرجع سابق ، ص ٦٤-٦٥ .

بينما تشير بعض الدراسات إلى عدم وجود صلة بين اللغتين إلا في أشياء يسيرة جدا يجب أن لا يوضع لها أي اعتبار وذلك بعد أن توصل قريفث (F.LI.Griffith) إلى معرفة القيم الصوتية واللفظية لمعظم حروف اللغة المروية في عام (١٩١٠م) [١] ، ولكن هذه الدراسات لم ترق إلى درجة التأكد والتحقيق لان الاعتقاد بصلة اللغة المروية واللغة النوبية بعث من جديد بعد قريفث على أيدى عدة باحثين منهم هوغو شوخارت (**H.Chuchardt**) وارنست تزيلارتز (E.Zyhlarz) معتمدين على الرأي القائل بان اللغتين المروية والنوبية تنتميان إلى ما يعرف الآن باللغات السودانية الشرقية[٢] .

ويزعم تريقر (B.G Trigger) أن اللغة النوبية كانت في الأصل بمناطق بكردفان أو دارفور الحالية ثم وصلت أولا إلي المناطق الوسطى من وإلى النيل في الفترة من (٢٠٠-٥٠٠م) وحلت محل اللغة المروية في تلك المناطق والتي كانت مستخدمة لعدة قرون ، وربما كانت اللغة المروية لغة مجموعة من سودانيي الجهة الشرقية [٣].

وخلاصة الموضوع يجب أن نقرر أن اللغة المروية مازالت سراً غامضاً ، لم تتعد معرفتنا بها مرحلة حل الرموز وقراءة بعض الكلمات المحصورة في أسماء الآلهة وبعض الأمكنة ، وأسماء الموتى وكلمات أخرى حسبها العلماء أفعالاً تكمل الجمل القصيرة [4]، وعليه فانه من المبكر جدا محاولة إيجاد صلة بين اللغة المروية واللغات الأخرى قبل المعرفة الدقيقة للغة المروية .

وبالرغم من ان العلاقة بين اللغتين المروية والنوبية القديمة والتي تمثلها اليوم علي حسب اعتقادنا اللهجة الدنقلاوية لم تتضح معالمها بعد إلا ان هنالك ثمة علاقة ما بين اللهجة الدنقلاوية واسماء ملوك نبتة الأوائل الذين كانت لغتهم الرسمية هي اللغة الرسمي القديمة ونستطيع ان نتبين ابرز ملامحها فيما يلي :

---

(١) سامية بشير دفع الله ، ١٩٧١م ، مرجع سابق ، ص ١٤-١٥ .

(٢) عبد القادر محمود عبد الله ، مرجع سابق ، ص ٦٦.

(٣) B.G. Trigger, The language of The Northern Sudan , J.A .H , Vol. 7 , 1966 , P 25.

(٤) سامية بشير دفع الله ، ١٩٧١م ، مصدر سابق ، ص ١٥ .

يرى الدكتور عبد القادر محمود وجود علاقة بين لغة ملوك نبتة الاوائل واللغة المروية ومن الحجج التي ساقها للتدليل على ذلك أن اسم الملك كوشتو وهو أول ملوك الأسرة السودانية التي حكمت مصر وعرفت بالأسرة الخامسة والعشرين حيث يعتقد أن اسم كوشتو يتكون من مقطعين الأول كوش وهو الاسم القديم للسودان وتو وهي على حسب رأيه إضافة غير مباشرة حذف منها المضاف وتعتبر من اميز ظواهر اللغة المروية ومعنى الاسم الحرفي هو الذي يخص كوش أو المنسوب إلى كوش أي الكوشي وهي تسمية مناسبة لملك سوداني كوشي يجعل تحليل الاسم مقبولا يدعمه كون الإضافة الناقصة معروفة في اللغة المروية [١] وهذه الصلة موجودة بوضوح في اللهجة الدنقلاوية حيث أن المقطع الثاني لاسم الملك كوشتو وهو تو له كلمة مرادفة في اللهجة الدنقلاوية المتداولة اليوم وهي تود وتعني الابن والتي ربما حدث لها تحريف ويمكننا ترجمة اسم هذا الملك بابن كوش وهي ترجمة لا تخرج عما ذهب إليه الدكتور عبد القادر، اضافة إلى أن اسماء قريبة لهذا الاسم ما زال معروفا عند الدناقلة فإحدى خالات الباحث تدعى زينب كوشة أو كوشي ، كما ان عدد من الباحثين السودانيين اتجه في تفسير اسماء ملوك هذه الأسرة مستخدمين في ذلك اللهجة الدنقلاوية فمثلا اسم الملك بعانجي يتكون من مقطعين الأول با ويعني الأب أو الحوض والثاني انجي ويعني الحياة ويمكن ترجمة هذا الاسم بالأب الروحي [٢] ويعتقد البعض أن الاسم الحقيقي لهذا الملك هو بي وانجي ليس من اصل الاسم وانما علامة ترمز للحياة وضعت في وسط الاسم للدلالة علي المعني[٣] وإذا كان الأمر كما ذكر فان كلمة بي مازالت متداولة في اللهجة الدنقلاوية وترمز إلى الشرف .

ويعتقد محمد عوض الله أن اسمي الملكين شبكة وشبتكو مصدرهما الذهب والذي يبدو إن اسمه تغير من (Nub) الى (Shub) [٤] أو حدث العكس ،

---

[١] عبد القادر محمود عبد الله ، ١٩٨٦ م ، مرجع سابق ، ص ٢٨-٣٢ .

[٢] محمد عوض الله حمزة ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

[٣] علي احمد قسم السيد ،" آراء حول الأسرة الخامسة والعشرين من حكام مصر القديمة " دراسات سودانية ع ١، مج ١٢ ، ابريل ١٩٩٢م ، ص ٩٦ .

[٤] محمد عوض الله حمزة ، مرجع سابق ، ص ٣١.

والملاحظ أن هذا الاسم مازال مستخدماً بصورة من الصور وليس أدل علي ذلك من اسم عائلة الباحث والذي يعرف بشبة أو شبأ والذي ربما كان مستمدا من اسم الملكيين وحدث له بعض التحريف .

ويفسر حسن شكري اسم الملك تهراقا أو ترهاقا (Teragi) كما يزعم بانه الجالس محتفزاً أو متحدياً له واضعاً في اعتباره ملابسات التاريخ السياسي لتلك الفترة حيث كان الآشوريين في حالة حرب مع النبتيين مما يقتضي من الملك أن يكون متحفزاً [١].

وهناك ملاحظة مهمة أخري وهي وجود صلة قوية بين اللهجة الدنقلاوية واسماء ملوك الأسرة المصرية الثامنة عشر أن لم نقل في المعنى ففي القيمة الصوتية علي الأقل ، والمعروف أن ملوك هذه الأسرة هم الذين قاموا بالتوسع جنوباً حتى الشلال الرابع وقضوا علي مملكة كرمة فمثلاً يعتقد البعض أن اسم الملك تحوتمس يتكون من مقطعين الأول تود ويعني في اللهجة الدنقلاوية الابن أو الولد والثاني مس أو موسو ويعني الجميل ومعني الاسم بالكامل الولد الجميل [٢] .

ويرى أحمد سليمان المحامي أن نفرتيتي زوجة الملك إخناتون ملكة دنقلاوية استناداً علي ما ذكره محي الدين تيتاوي أن مصدر هذه الاسم تيتي وهي أحدي قري دنقلا [٣] ، والجدير بالذكر أن هناك اسماء مشابهة لأسم الملكة نفرتيتي ما زالت متداولة إلى اليوم بين الدناقلة فمثلاً اسم إحدى جدات الباحث نفر - إيون وتعني المرأة الذهبية أو الجميلة .

ومن خلال هذه الملاحظات التي تشير إلى وجود صلة بين اللهجة الدنقلاوية واسماء ملوك الأسرة المصرية الثامنة عشر دون غيرها نستطيع أن نتبين وجود اتصال ثقافي بين ملوك هذه الأسرة وسكان المنطقة ظهرت بوضوح في أسماء هؤلاء الملوك والذين ربما اتخذوا أسماء أو ألقاب دنقلاوية .

---

(١) حسن شكري " ملوكنا منذ ثلاثين قرنا " الخرطوم ع ٣ ، ديسمبر ١٩٦٦م ، ص ٧٠ .

(٢) محمد عوض الله حمزة ، مرجع سابق ص ٣٠ .

(٣) احمد سليمان المحامي "نفرتيتي ملكة دنقلاوية وكذلك زوجها "الإنقاذ الوطني ع ٦٢٦ ، ٣ أكتوبر ١٩٩١م ، ص ٣ .

خلاصة :

هذه الملاحظات والتي ذكرنا جانبا منها وهي كثيرة تشير إلى وجود صلة ما بين أسماء ملوك الأسرة المصرية الثامنة عشرة وملوك نبتة الأوائل واللهجة الدنقلاوية المتداولة اليوم لأن الأسماء لا يمكن أن تكون بلا معاني وإنما هي ذوات معاني استوحتها من البيئة واللغة الموجودة بها ، إضافة إلى وجود مفردات كثيرة متشابهة بين اللغة النوبية واللغة المصرية القديمة مما يجعل الباحث يميل إلى القول بقدم هذه اللهجة والتي ربما كانت إحدى اللغات السودانية القديمة قبل احتلال مصريو الدولة الحديثة للمنطقة سواء أثرت هذه اللغة في اللغة المصرية القديمة أو تأثرت بها ، وكذلك تشير إلى احتمال وجود صلة قديمة بين سكان وادي النيل والجماعات المعروفة باسم النوبة والتي نزحت إلى وادي النيل في القرون الأولى للميلاد والتي يرجح أنها نشرت اللغة النوبية فيها، وربما كانت هي إحدى الجماعات التي هاجرت من وادي النيل نتيجة للضغوط المصرية في زمن الدولة المصرية الحديثة ثم عادت إلى وادي النيل مرة أخرى في ظروف ما زالت مجهولة .

وهذه الملاحظات تعضد أيضا من قولنا بان اللهجة الدنقلاوية هي التي تمثل اللغة النوبية القديمة من بين اللهجات النوبية الأخرى المنتشرة في وادي النيل وبعض مناطق كردفان ودارفور كما سنبين في الفصل التالي .

الفصل الثالث

اللهجة الدنقلاوية واللهجات النوبية

تمهيد:

قد يتبادر إلي الذهن سؤال تلقائي وهو ما الفرق بين اللغة واللهجة ؟

يعتقد البعض أن لا فرق جوهري بين اللغة واللهجة وانما تعتبز لهجة ما ولعوامل مختلفة منها السياسية والاجتماعية والدينية وغيرها لغة قومية رسمية [1] ، بينما يزعم آخرون بان الفارق بين مصطلحي لهجة ولغة هو معرفة الكتابة والتدوين من عدمه [2] .

ويرى فريق آخر أن الفارق الحقيقي بين المصطلحين ليس في التدوين ومعرفة الكتابة بل في كون أحدهما أعم واشمل للأخر بمعنى أن اللغة سواء كانت مكتوبة أو غير ذلك فهي اكثر شمولية من اللهجة وقد تتفرع هذه اللغة في فترة من الفترات ولأسباب مختلفة إلى عدة لهجات تبقى مع اللغة الأم التي تمخضت عنها أو تحل محلها بمرور الوقت .

ومن جانب آخر فان اللهجة قد تدون وتكتب ولكنها تبقى من حيث التركيب اللغوي كإحدى اللهجات المتفرعة عن لغة أم واحدة تتبعها وتدور في فلكها ، وقد تختلف عن بقية اللهجات المتفرعة من اللغة نفسها سواء في مخارج ألفاظها وطرق النطق بها ، أو في بعض قواعد النحو والتركيب أو في بعض الكلمات والمصطلحات والتي قد تتفق بعض الشيء مع اللهجات الأخرى أو تختلف معها كلية ، فمثلا اللغة القبطية وهى تمثل آخر مراحل تطور اللغة المصرية القديمة تفرعت منها العديد من اللهجات نتيجة لاختلاف السنة المناطق المختلفة التي انتشرت فيها هذه اللغة منها اللهجات الصعيدية والبحرية والفيومية ومن المعروف أن كل هذه اللهجات قد عرفت طريقها إلى الكتابة والتدوين[3].

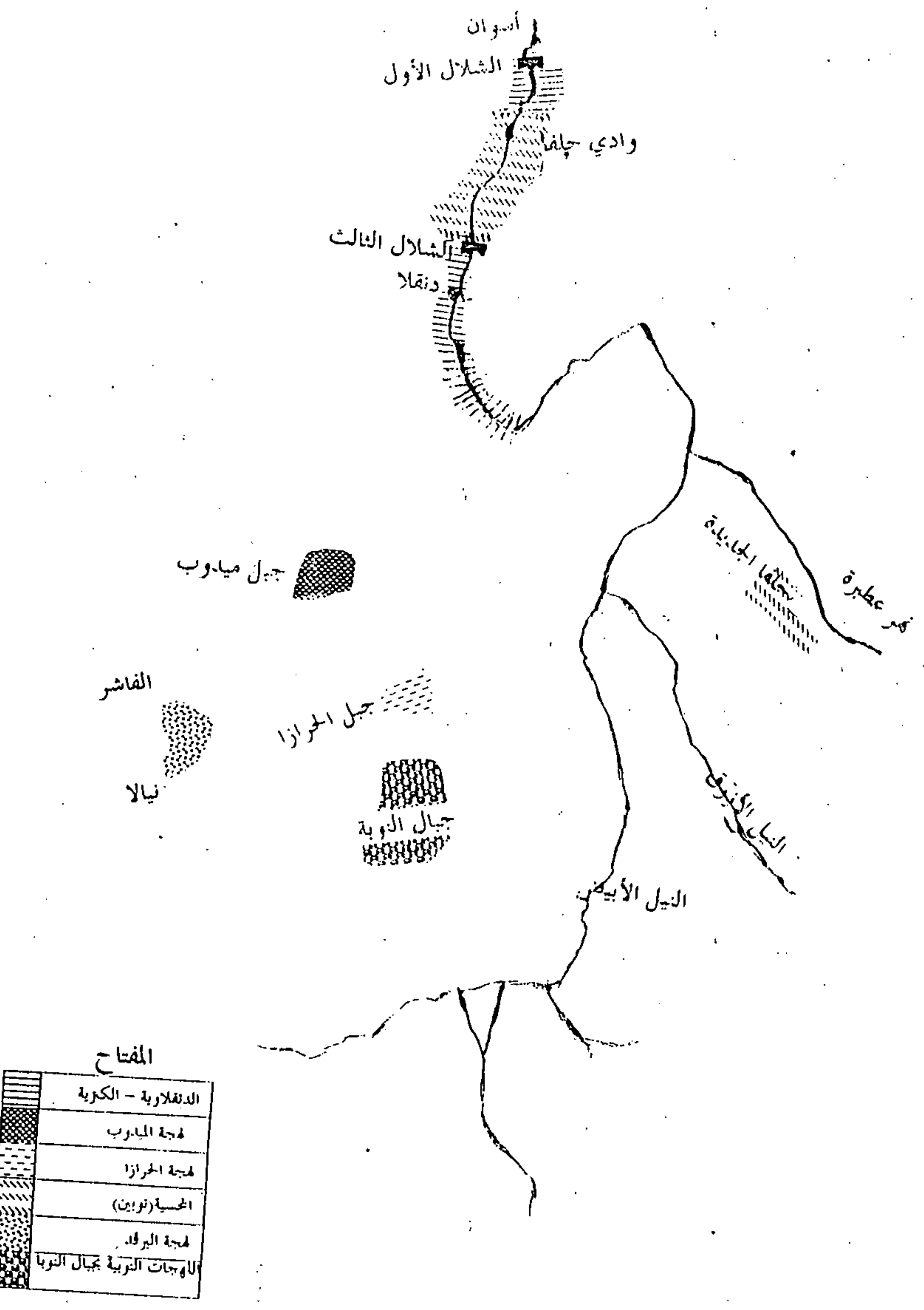
---

(١) أنيس فريحه ، مرجع سابق ،ص ٨٧ .

(٢) مختار خليل كبارة ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

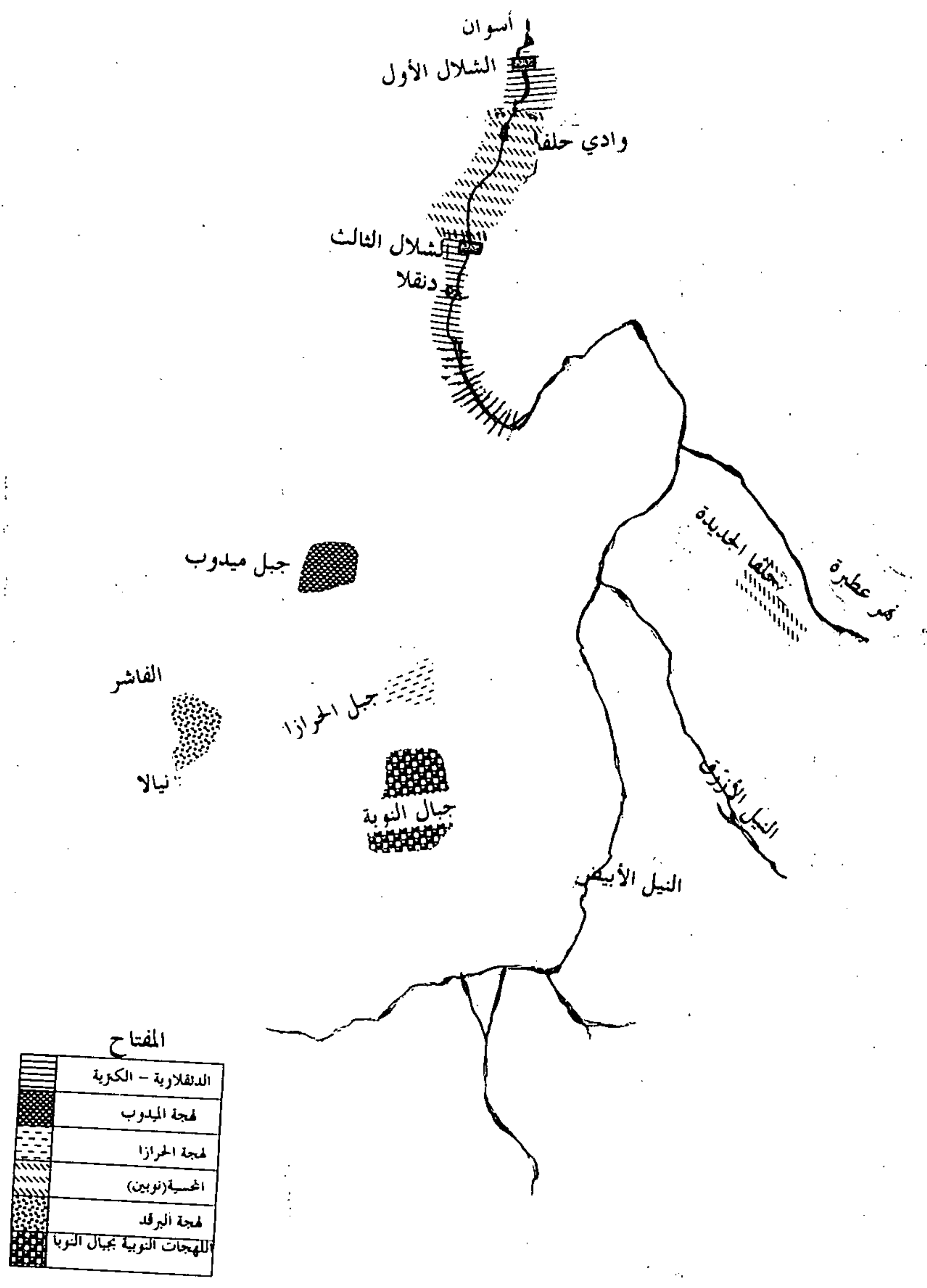
(٣) نفس المرجع , ص ١٩- ٢٠ .

انظر : على عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، ط٨ ، (القاهرة: دار النهضة للطباعة والنشر) ، ص١٠٨-١١٢ .



خريطة توضح انتشار اللهجات النوبية في السودان

(نقلاً عن : أسماء إبراهيم أحمد ، مرجع سابق ، ص ٢٩)



خريطة توضح انتشار اللهجات النوبية في السودان

(نقلاً عن : أسماء إبراهيم أحمد ، مرجع سابق ، ص ٢٩)

أما بخصوص اللغة النوبية فإن المختصين في مجال الدراسات النوبية ومنهم مختار خليل قد قاموا بتقسيمها لمرحلتين أساسيتين:

الأولى : مرحلة اللغة النوبية القديمة والتي دونت فيها هذه اللغة .

الثانية : مرحلة اللغة النوبية الحديثة والتي تتسم بتفرع اللغة النوبية القديمة إلى عدد من اللهجات النوبية النيلية إلى جانب بعض اللهجات في مناطق متفرقة بغرب السودان [١].

وسنقسم هذه اللهجات في هذا البحث إلي ثلاث أقسام وهي :

الأول : اللهجات النوبية النيلية .

الثاني : اللهجات النوبية بجبال النوبة .

الثالث : اللهجات النوبية بدارفور .

وسنقصر حديثنا في هذا الفصل على الانتشار الجغرافي لهذه اللهجات مع إشارة موجزة للجماعات التي تتحدث بها والبيئة الجغرافية التي يعيشون فيها ، ثم نبين مدى صلة اللهجة الدنقلاوية بهذه اللهجات ونعقد مقارنة بينها في بعض المفردات .

أ – اللهجات النوبية النيلية :

ذكرنا أن من أهم نتائج ازدياد هجرات الجماعات العربية إلى السودان انتشار اللغة العربية بها حيث اندثرت اللغة النوبية من السودان الأوسط بكامله , ولما كانت اللغة المنتقلة إلى بيئة جديدة تستوعب شيئا من لغات البيئة التي هاجرت إليها فقد انتقلت إلى اللهجة العربية السودانية بعض الخصائص الصوتية من اللغة النوبية كما اقترضت اللغة العربية من اللغة النوبية الكثير من مفرداتها المرتبطة بالزراعة وأسماء النبات والأشجار وغيرها مما لم يكن لأبناء الجزيرة العربية علم به[٢] ، **ومن أمثلة ذلك :**

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٢ – ٢٣.

(٢) محمد مهدي محمد ، زكريا علي احمد "بعض ملامح التراكيب والصيغ النوبية في اللهجة العربية السودانية " دراسات سودانية يصدرها معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية ، ع ١ ، مج ١٠ ، ابريل ١٩٩٠م ، ص ٢-٣ .

اللغة العربية	نوبية معربة	اللغة النوبية	
ذرة	مريق	Mare	مارى
ذرة شامية	مكادة(مقادة)	Makkada	مكادا
عيدان القمح الجافة	عسد	Ased	اسيد
صومعة	قسيبة	Gosa	قوسا
ليف النخيل	عشميق	Ashma	اشما'
قطة	كديسة	Kadies	كديس
–	مترة	Mittar	ميتار
قصابية لوح	واسوق	Waso	واسو
لوح – جرافة	البل (اربل)	Erbur	البر
مشط	كارديق	Karindie	كاريندى
منفذ للري	ابوق	Obog	ابوق
فلاح	تربال	Togned	توربل
سماد (سباخ)	ماروق	Maro	مارو
سد للري	توقناد	Togned	توقند
صبي مزارع	اورتي	Erwatti	اورتي
خشبة للسقف	مرق	Mirg	ميرق
صاج للخبز	ديو	Dew	ديو
صبف	صريف	Sarri	سري
سمك قرموط[1]	كور	Kour	كور

مقارنة بين اللهجات النيلية :

يرجح ان اللهجات النيلية ترجع إلى اصل واحد وهو اللغة النوبية وان كـان هناك اختلاف فهو اختلاف طبيعي لا تخلو منه أي لغة من اللغات.

---

(1) محمد متولي بدر ، مرجع سابق ، ص ٣١-٣٣.

وفيما يلي مختارات تناسب موضوعنا من المقارنة التي عقدها محمد متولي بدر في بعض القواعد والكلمات بين اللهجات النيلية :

الضمائر :

عربي	محسي		دنقلاوي		كنزي	
انا	أي	I	أي	I	أي	I
انت	ار	Ir	ار	Ar	ار	Ar
هو	تار	Tar	تر	Ter	تر	Ter
انتم	اور	Ur	ار	Ir	ار	Ir
هم	تر	Ter	تير	Tir	تير	Tir

أسماء الإشارة :

عربي	محسي		دنقلاوي		كنزي	
هذا (للقريب)	ان	In	آن	In	ان	In
ذاك (للمتوسط)	تار	Tar	تار	Tar	تار	Tar
ذلك (للبعيد)	مان	Man	مان	Man	مان	Man

الكلمات :

من الممكن تقسيم الكلمات في اللهجات الثلاث إلى ثلاث أقسام علي النحـــو التالي : .

القسم الأول :

كلمات مختلفة تعبر عن معني واحد في اللهجات الثلاث

عربي	محسي		دنقلاوي		كنزي	
بلد	لريكي	Lrki	اوشي	Ashay	اوشي	Ashay
بيت	نووق	Noog	كا	Ka	كا	Ka

بيضة	كومبو	Kumbu	كونبو	Kunbü	كونبو	Kunbu
اجر	مير	Mir	بوود	Bood	بوود	Bood
جميل	اشري	Ashri	سرى	Sere	سرى	Sere
حصان	مورتي	Murti	كج	Kaj	كج	Kaj
ماء	امن	Aman	اسي	Essi	اسي	Essi
خرج	اسي	Essi	بلكون	Balkon	بلكون	Balkon

القسم الثاني :

كلمات مشتركة محرفة بعض التحريف في بناء الكلمة او الشكل

عربي	محسي		دنقلاوي		كنزي	
كل	كاب	Kab	كال	Kal	كال	Kal
يعيد	ويري	Wierri	وري	Warri	وري	Warri
ام	ان	Een	انين	Enen	انين	Enen
امراة	ادن	Iden	ان	Aen	ان	Aen

القسم الثالث :

كلمات مشتركة

عربي	محسي		دنقلاوي		كنزي	
بنت	برو	Buru	برو	Buru	برو	Buru
بئر	ميتر	Mittar	ميتر	Mittar	ميتر	Mittar
بطن	تو	Tou	تو	Tou	تو	Tou
مكان	اقر	Agar	اقر	Agar	اقر	Agar
بقرة	تي	Ti	تي	Ti	تي	Ti
راس	ار	Ur	ار	Ur	ار	Ur
ولد	تود	Tod	تود	Tod	تود	[1]Tod

(١) محمد متولي بدر , مرجع سابق , ص ٣٨-٤١ .

يتضح من هذه المقارنة الآتي :

أولا : أن اللهجتين الدنقلاوية والكنزية متشابهتان ويمكن اعتبارهما لهجة واحدة , أما اللهجة المحسية فتختلف عن اللهجتين السابقتين .

ثانيا : أن معظم الكلمات في القسمين الثاني والثالث متشابهة والصعوبة التي تجدها المجموعات التي تتحدث الدنقلاوية والكنزية في فهم لهجة المجموعات التي تتحدث المحسية ليس مردها إلى اختلاف الكلمات فقط وانما مرجعها في اغلب الحالات إلى طريقة تصريف الأفعال في الأزمنة المختلفة[١].

ب- اللهجات النوبية بجبال النوبا :

يطلق بعض الباحثين منهم الدكتور محمد عوض محمد اسم النوبا كمصطلح عام للدلالة على سكان الجبال الواقعة في جنوب كردفان وذلك للتمييز بينهم وبين النوبيين في وادي النيل[٢] وسينحو الباحث نفس المنحى ويستخدم اسم النوبا للدلالة على سكان الجبال بكردفان و اسم نوبة للدلالة على سكان وادي النيل وذلك منعا للبس والخلط .

أما سكان الجبال أنفسهم لا يعرفون اسم النوبا فكل قبيلة او مجموعة تعرف باسمها الخاص دون ان يكون هناك اسم جامع وشامل لجميع سكان الجبال[٣] لذا يعتقد البعض ان هذا الاسم قد انتقل إلى المنطقة مع هجرة بعض المجموعات النوبية من وادي النيل إلى كردفان[٤]، بينما يرجح آخرون ان العرب هم الذين أطلقوا اسم جبال النوبا على المنطقة دون تمييز لسكانها[٥].

---

(١) نفس المرجع ، ص ٤٢.

(٢) محمد عوض محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧.

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٨٧.

(٤) اسحق يوسف احمد ، مرجع سابق ، ص ٣٩.

(٥) محمد عوض محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧.

الموقع والسكان :

تقع جبال النوبا بين خطي طول (٣٠,٢٩ – ٣١ درجة) شرقا ، وخطي عرض (١٥،١٢ – ٣٠ درجة) شمالا[١]، ويقدر عدد الجبال بتسعة وتسعين جبلا تمتد جنوبا وشرقا إلى النيل الأبيض وغربا إلى دارفور وتأخذ شكل سلسلة عنقودية ذات قمم منفصلة وكتل جبلية منعزلة ، وأطولها سلسلة جبال تقلي ، أما ارتفاع هذه الجبال فهي متباينة ويبلغ أقصى ارتفاع لها ما بين ثلاثة وخمسة ألف قدم فوق سطح البحر[٢] .

أما مناخ المنطقة فهو مناخ السافنا الغنية الممطرة صيفا والحارة شتاء[٣] ، ويشبه مناخ هذه الجبال لحد كبير مناخ السهول المحيطة بها وتزيد كمية المطر فيها عن السهول التي أسفلها نسبة لارتفاعها [٤].

ويعتمد سكان الجبال في اقتصادهم على الزراعة في مساحات قليلة للمؤونة وأنواع أخرى من الزراعة الكثيفة التي تفوق الزراعة التي يمارسها المزارعون في السهول[٥].

وتتميز هذه المنطقة ايضا بتعدد المعطيات الثقافية ، ولايمثل النوبا كيانا قبليا واحدا وانما يتشكلون من عشرة مجموعات متباينة لا تربطها أي صلات رحمية ولا لغوية ولكل منها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها[٦] وهي :

١. مجموعة الينمانج وتضم قبائل الينمانج والصبي والمندل وانتي وبعضهم يسكن شرق جبل الداير وهم من اوائل قبائل الجبال التي تمازجت وتداخلت مع القبائل العربية.

---

[١] احمد عبد الله آدم ، قبائل السودان نموذج التمازج والتعايش ، (الخرطوم ، ب – ت) طبع شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، ص ٢٨٩.

[٢] سراج الدين عبد الغفار، الصراع في جبال النوبة ،ط١ (الخرطوم ، دار جامعة أفريقيا العالمية للطباعة والنشر ، ١٩٩٧) ، ص ١٨.

[٣] عطا محمد احمد كنتول " الإسلام والتبشير المسيحي في جبال النوبة (١٩٣٢-١٩٥٦م) " (رسالة ماجستير غير منشورة) ، جامعة أم درمان الإسلامية ، كلية الآداب ، ١٩٩١م ، ص ٢

[٤] بابكر قرشي احمد " مملكة علوة "(رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، نوفمبر ٢٠٠٠م ، ص ١٠٥.

[٥] نفس المرجع ص ١٠٥.

[٦] احمد عبد الله آدم ، مرجع سابق ، ص ٢٨٩.

٢. مجموعة قبائل الكواليب وتضم الكواليب والمورو وهيبان واطورة وتيرا وليرا ولارو والشواي وقنجر كاونارو .

٣. مجموعة قبائل تلودي وتضم تلودي والكيري والمساكين وطوال وقصار واجرون وكلولوو وترنا وكوكو لومون وقبائل صغير اخرى .

٤. مجموعة قبائل لفوفة وتضم لفوفة واميرا وقبائل صغيرة اخرى .

٥. مجموعة قبائل تقلي ورشاد وكجاجة وتقوي وتمول موراب .

٦. مجموعة قبائل كادوقلي وتضم كادوقلي وكرنقو وميري وتلشي وكاتشا وتوما وطمطم وكاتقا .

٧. مجموعة قبائل تمين وتضم تمين وكيفاجرو وتيسي وقبائل صغيرة اخرى .

٨. مجموعة كتلا وجلد وتيما .

٩. مجموعة قبائل الاجنق وتضم كرورو وشرورو وكافير وكودجي ودبانة وكاركو وغلفان ووالي وفندة وكاشا وطبق وابو جنوك والدلنج والكدرو والشفر ودابر وقبائل صغيرة اخرى .

١٠. مجموعة قبائل الداجو والشات ولقوري[١] .

وتتحدث هذه المجموعات عشر لهجات رئيسية بجانب اللغة العربية المتداولة في المنطقة[٢]وهذه اللهجات أيضا تتفرع لاكثر من ٤٥ لهجة[٣] ، وقد قسم الدارسون هذه اللهجات إلى ثلاثة مجموعات لغوية وهي :

الأولى : اللهجات ذات السمة السودانية

الثانية : اللهجات ذات السمة البانتوية

الثالثة : اللهجات ذات السمة النوبية[٤] .

وتمثل المجموعة اللغوية الثالثة مجموعة قبائل الاجانج.

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) Mac Diarmid , P . A , Mac Diarmid , D . N , The Languages of The Nuba Mountains , S.N.R,Vol XIV , 1931 , P 159.

(٣) Ibid , P 150.

(٤) Nadel , S.F ,The Nuba (London ,1947) P 2.

مجموعة قبائل الاجانج :

تتحدث مجموعة قبائل الاجانج لهجات تشابه اللهجات النوبية النيلية[١] وخاصة الدنقلاوية في كثير من ألفاظها ولا يشاركها في هذا الشبه أي مجموعة أخري من سكان جبال النوبا , حتى هوكسورث (D. Hawksworth) أطلق عليهم اسم النوبيين [٢] ، وبالرغم من أن الاجانج يمثلون ما يقارب العشرين قبيلة إلا أن صالح القباني قسمهم إلى ثلاثة فروع رئيسية وهي : الدلنج- الغلفان- الكدرو[٣] .

وتنحصر مناطق الأجانج في الجزء الشمالي الغربي من جبال النوبا والتي تعرف إداريا ومنذ الحكم الثنائي بمركز شمال الجبال حيث تمتد من الحزام الشمالي لجبال النوبا من الحجيرات في دار المسيرية غربا الي الداير وكدرو شرقا أما من ناحية الجنوب فتمتد إلى منطقة دايرة علي طريق الدلنج كادوقلي وتحد من الشمال بمركز الفرشاية الحالي [٤] .

إلى جانب لغات الاجانج أشار هيرمان بيل (H.Bell) إلى أن لغة الحرازة المنقرضة والتي كانت في جبال حرازة بشمال كردفان مشابهة في بعض مظاهرها الصوتية للهجات النوبية المتحدثة في جبال النوبا [٥] .

مقارنة بين اللهجات النيلية ولهجة الأجانج :

في الجدول أدناه مقارنة في بعض الكلمات بين اللهجات النيلية واللهجات التي يتحدث بها الاجانج بجبال النوبة ، وقد استعان الباحث في عقد هذه المقارنة بمجموعة من متحدثي هذه اللهجات [٥] محاولا قدر الإمكان ان تكون مفردات اللهجات الثلاث متشابهة :

---

(١) جابر محمد جابر محمد ، التنوع الثقافي والتداخل اللغوي ، (ام درمان ، ٢٠٠٠م) ، ص ٢٩

(٢) يوسف اسحق احمد ، مرجع سابق ، ص ١١١.

(٣) عبد الفتاح صالح القباني (قبائل الاجانق) المجلس ، ع ٩٨ ، نوفمبر ١٩٥٩م ، ص ٥.

(٤) يوسف اسحق احمد ، مرجع سابق ، ص ٦-٧.

Bell , H , A nextinct Nubian Language in Kordofan , S.N.R, Vol 54 , 1973 , P 76- 77 . (٨[5])

(٥) لقاء مع مجموعة من أبناء جبال النوبا منهم ، أحمد عجبنا إسماعيل ، سوق الوحدة ، الخرطوم ، الخرطوم ن ٢ سبتمبر ٢٠٠١م ، مقابلة مع مجموعة من أبناء المحس منهم ، إدريس محمد بلال ، الخرطوم بحري ، ٩ سبتمبر ٢٠٠١م ، مقابلة مع مجموعة من أبناء الميدوب ، منهم عبد الحميد محمد أحمد ، السوق العربي ، الخرطوم ، ٣ أكتوبر ٢٠٠١م .

عربي	دنقلاوي		محسي		اجانج	
الوجه	كونج	Kogn	كونج	Kong	كونج	Kong
الاذن	الوق	Olog	الوق	Olog	الوجا	Ologa
البطن	تو	Tuo	تو	Tuo	تو	Tuo
الراس	ار	Ur	اور	Ur	اور	Ur
الاخضر	ديسى	Desse	ديسي	Desay	تيسى	Tessa
الاحمر	قيلي	Gele	قيلا	Gelea	كيلى	Kele
الاسود	ارمي	Ormey	ارمي	Ormey	ارمي	Oremey
السبت	سمتي	Samty	سمتي	Samey	شامتي	Shamty
الاحد	كراقي	Kerage	كراقى	Kerage	كراقا	Kerega
البقرة	تي	Ti	تي	Ti	تي	Ti
اللبن	اجي	Iji	اجا	Ija	اجي	Iji
الحصان	كج	Kaj	مورتي	Murtti	كج	Kaj
الحياة	انجي	Anche	انج	Anch	انجى	Anche
زعيم (كاهن)	اور	Oor	قورتي	Gorti	اور	Oor
تيراب	تيري	Teri	كوجر	Kojer	تيري	Teri
راكوبة	كري	Kary	كري	Kary	كري	Kary
التمساح	نيلوم	Nialom(AIOM)	الوم	Alom	نيلوم	Nialom

من خلال هذه المقارنة نلاحظ الآتي :

أولا: الصلة الوثيقة بين اللهجة الدنقلاوية ولهجة الاجانج لدرجة التشابه التام في العديد من الكلمات وهي نفس النتيجة التي توصل لها سقار(Sagar) عند تناوله للموضوع علاقة بين لهجتي الاجانج والدناقلة[1].

[1] يوسف اسحق احمد ، مرجع سابق ، ص ٤٥.

ثانيا : وجود بعض المفردات في لهجة الاجانج غير موجودة في بيئة جبال النوبة وتوجد في بيئة وادي النيل مثل كلمة (Nialom) أي التمساح.

ج- اللهجات النوبية بدارفور :

دارفور الموقع والسكان :

تقع دارفور بين خطي عرض (١٠ -١٦) درجة شمالا وبين خطي طول (٢٢-٢٧,٥) درجة شرقا , وهي اكبر أقاليم السودان مساحة[١] وتحدها من الشمال الصحراء الكبرى ومن الجنوب بحر العرب وتفصلها عن كردفان كثبان رملية في اتصال طبيعي ويتصل بإقليم دارفور من جهة الغُرب تشاد وافريقيا الوسطي في امتداد طبيعي نتيجة لوحدة المناخ والتضاريس والتداخل السكاني الذي جعل علاقتها بجيرانها من الغرب قوية ومتأثرة بها[٢].

وكان لموقع دارفور الجغرافي اثر كبير في تكوينه البشري حيث تجد بين سكانه سلالات مختلفة يمكن أن نبين ابرز ملامحها على النحو التالي :

في الشمال توجد عناصر ليبية تمثلها عدة جماعات مثل القرعان والبديات والزغاوة ومصدرها إقليم تبستي ووادي وان كان بعضها مثل الزغاوة لها صلة ببلاد المغرب .

أما العناصر القديمة في المنطقة مثل الداجو والفور والبرتى فنجدها متمركزة في المنطقة الجبلية وما حولها .

إلى جانب القبائل العربية التي تحتل السهول الشرقية من دارفور ولها اتصال وثيق بالقبائل التي ترعى البقر في الجنوب[٣] وتشمل قبائل الرزيقات والهبانية والتعايشة وبني هلبة [٤].

---

[١] موسى المبارك حسن ، تاريخ دافور السياسي ، ط ٢ (الخرطوم : دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٥م) ص ٤.

[٢] الأمين محمود محمد عثمان ، سلطنة الفور الإسلامية (١٤٠٠-١٩١٦م) دراسة تحليلية ، ط١ (الخرطوم ، ٢٠٠٠م) ، ص ١٦-١٧

[illegible]

[٣] محمد عوض محمد ، [illegible]م ، مرجع سابق ، ص ٢٦٦- ٢٦٧.

[٤] نفس المرجع ، ص ٢٣٨-٢٤٠.

هناك أيضا عناصر نوبية متمثلة في جبل ميدوب والبرقيد[١] وتتحدث هاتان المجموعتان لهجات نوبية ولذا سنتناولهما في السطور التالية بشئ من التفصيل.

الميدوب(Meidob) :

الميدوب اسم جبل يقع في الركن الشمالي الشرقي من دارفور علي بعد (٤٠٠) ميل من مدينة الخرطوم و (٣٥٠) ميل جنوب غربي مدينة الدبة وعرف سكانه باسمه[٢] ويبلغ أقصى ارتفاع لجبال الميدوب (٦٠٠٠) قدم فوق سطح البحر[٣] وهي سلسلة من الجبال البركانية طولها من الشرق إلى الغرب (١٥٠) ميل وعرضها (٨٠) ميل تقريبا , ويتخلل هذه السلسلة عدد من الهضاب العالية أهمها هضبة تيقة وجبال ابوقران وهضبة الحيطان[4] .

ويتحدث الميدوب بلهجة كبيرة الصلة باللهجات النوبية النيلية[٥] وكان لبعد جبال الميدوب وانتشار الصحراء من حولها اثر كبير في عزلة سكانها عن جيرانها[٦] ، ويتكون الميدوب من ثلاثة مجموعات رئيسية وهي :

المجموعة الاولي : الاورتي (Urrti) في الشمال

المجموعة الثانية :الشلكوتا (Shelkota) في الجنوب الغربي .

المجموعة الثالثة : التورتي (Turrti) في الوسط[٧] .

البرقيد (Birged) :

تقع ديارهم بجنوب دارفور ويعتبر جبل مسكو الذي يقع بين جبلي حريرة ومرة المركز الرئيسي للبرقيد[٨] ولهم ايضا فروع عديدة بتشاد ، ويحيط بهم من

---

(١) محمد عوض محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧.

(٢) محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق : محمود عساكر ، ومصطفي محمد مسعد (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٦٥) ص ١٣٧ هامش ١.

(٣) Lampen , E, Ashort Account of Meidob, S.N.R. Vol 11 1928, P 55.

(٤) علي محمد محمود (بحث غير منشور عن الميدوب) ص ١٠.

(5) Mac Michael ,A,H, The Zaghawa and People of Jebel Meidob J.R.A. Vol 37,1901.P 335

(٦) نفس المرجع ص ٢٢.

(٧) مذكرة أبو سن عن مديرية دارفور (الخرطوم ، ١٩٦٨م) طبع بدار الوثائق ص ٧٨.

(٨) نعوم شقير ، مرجع سابق ، ص ٥٧.

الجهة الجنوبية والغربية الداجو والرزيقات ومن الشمال والشرق البرتي وفلاتة كتالة أما من الشمال فيحدون بالتنجر وغربا بالفور[١].

ويمثل البرقيد مجموعات عرقية متعددة تمثل معظم قبائل السودان تصاهرت وتزاوجت مع بعضها البعض وشكلت مجتمع البرقيد الحالي وهم يعدون من اكبر المجموعات التي تقطن دارفور بعد الفور والزغاوة ولعل اسمهم(البرقيد) والذي يعني بلهجتهم المنقرضة الشيء ذي الألوان المتعددة اصدق تعبير لواقع مجتمعهم[٢] .

ونسبة للتعقيد الاجتماعي للبرقيد فقد اختلف العلماء في اصولهم , فالبعض ينسبهم للزنوج وآخرون يعتبرونهم خليطا عربيا نوبيا [٣] .

ويري زلهارا أن البرقيد لهم صلة عرقية مع الميدوب بناء علي وجود علاقة بين أصول اللغة التي كان يتحدث بها البرقيد والتي اندثرت الآن واللهجة التي يتحدث بها الميدوب[٤] .

مقارنة بين اللهجات النيلية ولهجتي الميدوب والبرقيد :-

وفيما يلي بعض المفردات المناسبة لموضوعنا من المقارنة التي عقدها ماك مايكل بين اللهجات النيلية ولهجة الميدوب إلي جانب لهجة البرقيد المنقرضة :

أولا : لهجة الميدوب :

محسي		دنقلاوي		ميدوب		عربي
ديسي	Dessi	ديسي	Dessi	تيسي	Tesse	اخضر
قيلا	Gela	قيلي	Gele	كيلي	Kayli	احمر
آن	En	انين	Enen	ايا	Iya	ام
تنقس	Tangis	اري	Eri	وري	Urri	اسم
اك	Ak	اقيل	Agil	أي	Al	فم

(١) احمد عبد الله ادم ، مرجع سابق ، ص ٢٨٣.

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٨١.

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٨٢.

(٤) نفس المرجع ، ص ٢٨١.

ابو	Abo	امباب	Ambab	ابا	Abba	اب
ار	Ur	اور	Ur	اور	Orr	راس
ديجا	Dija	ديجي	Diji	تيجي	Techi	خمس
قورجو	Gorjo	قورجي	Gorji	كورجي	Korrchi	ست
ديم	Dim	دميني	Dimini	تيمني	Timmigi	عشر
ايمل ويرا	Imil wera	ايمل	Imil	ايميل	Immil	مائة

ثانيا: لهجة البرقيد

عربي	برقيد		دنقلاوي		محسي	
احمر	Kayla	كيلي	Gele	قيلي	Gel	قيل
ام	Ennon	انون	Enen	انين	En	ان
اسم	Einere	اينير	Anere/ Ari	اري	Tangis	تانقيس
فم	Enagul	انقيل	Engil/Agil	اقيل	Ak	اك
اب	Embaaon	ايمبابون	Embab	امباب	Abo	ابو
هم	Tir	تير	Tir	تير	Ter	تر
هو	Ter	تر	Ter	تر	Tar	تار
لحم	Kozi	كوزي	Kusu	كوسو	Arij	ارج
لبن	Eshi	اشي	Iji	ايجي	Ija	اجا
خوز	Mantiti	مانتتي	Malti	ملتي	–	–
راس	Urr	اور	Ur	ار	Ur	ار
كلب	Meil	ميل	Wel	ول	Mug	موق
مطر	Arri	اري	Arre/Aro	ارو	Olli	اولي
اربع	Keimzi	كيمزي	Kemsi	كميسيي	Kemso	كيمسو
خمس	Tishi	تيشي	Diji	ديجي	Dija	ديجا

ست	Korshi	كورشي	Gorji	قورجي	Gorjo	قورجا
سبع	Koldi	كولدي	Kolldi	كولدي	Kolloda	كولودا
عشرة	Timmun	تيمون	Dimini	ديمني	Dim	ديمن
حديد	Sirti	سيرتي	Sarti	شارتي	Tirissi	تيرسي
شعر	Tille	تيلي	Dilti	ديلتي	Singirti	سينقرتي
حجر	Kuldi	كولدي	Kulu	كلو	Kit	كيت [1]

ونلاحظ في هذه المقارنة التي عقدها ماكمايكل الاتي :

أولا : أورد ماكمايكل العديد من الكلمات غير المتشابهة الا في بعض مقاطعها .

ثانيا : ان لهجة البرقيد هي الأقرب الي اللهجة الدنقلاوية من لهجة الميدوب في كثير من الكلمات[2].

ثالثا : الاختلاف بين اللهجة الدنقلاوية ولهجة الميدوب في الكثير من الكلمات ، وربما يعود هذا الاختلاف إلى سرعة النطق التي يتميز بها الميدوب[3] حتى أن بعض الدارسين صنفها كفرع مستقل من فروع اللغة النوبية[4] .

(١) Mac Michael , H . A , 1918 , Opcit , PP 51-53

(٢) يوسف اسحق ، مرجع سابق ، ص ١١١.

(٣) عبد الحي عبد الغني " اللغات الدار فورية " الخرطوم ، ع٩ ، يونيو ١٩٦٧م ، ص ٤٧.

(٤) Hilleson , S , Opcit , P138.

خلاصة :

تتميز اللهجة الدنقلاوية بانها اكثر اللهجات النوبية صلة بأخواتها ، الأمر الذي يعزز اعتقاد الباحث بان اللهجة الدنقلاوية هي اقرب اللهجات إلى اللغة النوبية القديمة وفيما يلي بيان لهذه العلاقة :

أولا : إن اللهجة الدنقلاوية في منطقة دنقلا واللهجة الكنزية في جنوب مصر متشابهتان ويمكن اعتبار اللهجتين لهجة واحدة [1].

ثانيا : أن هناك صلة وثيقة بين اللهجة الدنقلاوية ولهجات الاجانج بجبال النوبا[2].

ثالثا : أن لهجة الحرازا في شمال كردفان والتي انقرضت الآن كانت متشابهة في بعض مظاهرها الصوتية مع اللهجة الدنقلاوية علي الرغم من لهجة الحرازا لهجة مستقلة[٣].

رابعا : ان لهجة البرقيد المنقرضة والتي كان يتحدث بها بجنوب دارفور قريبة الشبه باللهجة الدنقلاوية[4].

كما أن الوضع الجغرافي لهذه المجموعات التي تتحدث اللهجة الدنقلاوية في منطقة دنقلا والمجموعات التي تتحدث بلهجات تشابهها في منطقتي جبال النوبا ودارفور تثير عدة أسئلة عن العلاقة بين هذه المجموعات ،سنحاول في الفصل التالي الإجابة عنها.

---

(١) محمد متولي بدر ، مرجع سابق , ص ٤٢

(٢) يوسف احمد ، مرجع سابق ، ص ١١١.

(٣) Bell , H , Opcit , P 76-77

(٤) يوسف احمد ، مرجع سابق ، ص ١١١.

الفصل الرابع

العلاقة بين المجموعات التي تتحدث باللهجات النوبية

تمهيد:

أثارت الدراسات حول اللهجات النوبية والمجموعات التي تتحدث بها تساؤلات عديدة لدى العلماء عن العلاقة بينها والعوامل والأسباب المختلفة التي أدت إلي التباين بين هذه اللهجات علي الرغم من انتمائها إلى لغة واحدة ، حيث نجد اللهجة الكنزية بجنوب مصر في أقصى شمال أوطان النوبيين واللهجة الدنقلاوية بمنطقة دنقلا في أقصى جنوبها تتقاربان إلى حد التطابق ولا يفهمها أهل الوسط وهم المحس والسكوت والفديجة الذين يتحدثون بلهجات تمثلها اللهجة المحسية ، فما الذي جمع أقصى الشمال بأقصى الجنوب في لهجة واحدة لا يفهمها أهل الوسط ؟.

وكذلك هناك تشابه بين اللهجات النوبية النيلية وخاصة اللهجة الدنقلاوية ولهجات الاجانج بجبال النوبا ولهجة البرقيد بدار فور ، فما علاقة هذه المجموعات بنوبة النيل ؟ .

وسنحاول الإجابة على هذه الأسئلة أو إيجاد تفسيرات تاريخية لها مستفيدين من صلة اللهجة الدنقلاوية بهذه اللهجات .

العلاقة بين المجموعات التي تتحدث اللهجتين الدنقلاوية والكنزية :

تنقسم اللهجات النوبية النيلية إلى مجموعتين الأولي الدنقلاوية ـ الكنزية (أوشكير) والثانية المحسية (نوبيين) ، وتقع المجموعة الثانية وسط المجموعة الأولى بشقيها الشمالي والجنوبي وهذا الوضع الجغرافي لهذه اللهجة جعل بعض الباحثين يحاولون إيجاد تفسير تاريخي له ومنهم محمد متولي الذي يرى أن اللهجتين الدنقلاوية والكنزية قد نشأتا في موطن واحد وهو منطقة دنقلا ثم انفصلتا تحت ظروف مجهولة ويرجح أن الكنوز هم الذين انتقلوا من دنقلا إلى مواطنهم الحالية بجنوب مصر واستقروا فيها للأسباب الآتية:

أولاً : في عهد البطالسة امتدت حدود مصر إلى بلدة المحرقة على بعد ثمانين ميلا جنوب الشلال الأول وظلت هذه البلدة آخر حدود مصر في عهد الرومان وكانت هذه المنطقة فقيرة الموارد قليلة العمران والدليل على ذلك إخلاء

الإمبراطور الروماني دقليانوس للمنطقة لان خراجها لا يفي بنفقاتها فتنازل عنها للنوباطيين وأعاد الحدود إلى مدينة أسوان .

ثانياً : كانت بعض أجزاء هذه المنطقة تحت سيطرة البليميين * حتى أجلاهم عنها سيلكو ملك النباطيين الذي سجل انتصارات على معبد كلابشة.

ثالثاً : في المنطقة الواقعة بين بلدة كرسكو والمضيق تسكن قبيلة العليقات العربية والتي نزحت إلى هذه المنطقة في صدر الإسلام ووجدتها خالية فاستقرت فيها .

رابعاً : ثبت بالبحث أن معظم قبائل الكنوز ترتبط برباط وثيق بقبائل لا تزال موجودة بد نقلا ، حيث يروى أفرادها قصصاً تشير كلها إلي أنهم نزحوا من منطقة دنقلا إلى مناطق الكنوز الحالية بجنوب مصر فمثلاً يذكر أفراد قبيلة المهناب التي تسكن في دهميت انهم كانوا بجهة بدين بد نقلا وحدث أن قدم أحد ملوك سنار لزيارة المنطقة فرأى عند محمد مهناب سيد القبيلة ووإلى المنطقة جواداً أعجبه حسنه فطلب منه أن يهديه إليه فرفض الأخير فكان ذلك سبباً في فصله من أمارة المنطقة فغادرها المهنا وأسرته شمالا حتى نزل بدهميت وصحبه في هذه الرحلة شخصان هما سالم ومدب ، فأما سالم فنزل في دبود وله ذرية تنسب إليه الآن في دبود وغرب أسوان تسمى سالماب أما مدب فقد أقامت ذريته في الشلال الأول .

خامساً : يلاحظ أن عدداً كبيراً من القرى في منطقة الكنوز تحمل أسماء تشبه الأسماء التي تحملها قرى دنقلا فمثلاً بلدة قورتة ومروا ، ونجع والحفير ، ونجع الزيداب في منطقة الكنوز يقابلها كورتى ، ومروى ، والحفير ، والزيداب في دنقلا وبربر [1] .

* كان البليميون وهم من قبائل الصحراء الشرقية يستوطنون بعض جهات النوبة السفلى جنوب المحرقة منذ زمن البطالمة ومن هذه المنطقة بدا البليميون يشنون سلسلة من الغارات على الرومان حتى عهد الإمبراطور دقليانوس الذي عمل على إخلاء المنطقة الواقعة جنوب أسوان وجلب إليها النباطين من واحة الخارجة (٢٨٤٠ـــ ٢٩٦م) وذلك لحماية الرومان من هجمات البليميين إلا أن المنطقة شهدت عدم الاستقرار في عدة فترات حتى نجح سيلكو أحد ملوك النباطين من طرد البليمين من المنطقة سنة (٥٤١م) (انظر : مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ص ٢٩ - ٣٩) .

(١) محمد متولي بدر ، مرجع سابق ، ص ٣٥ ـــ ٣٧

ويستنتج محمد متولي من هذه الملاحظات التي أوردها أن منطقة الكنوز الحالية كانت خالية من السكان قبل هجرة القبائل الكنزية اليها أو على الأقل كانت قليلة العمران وان البليميين كانوا يسكنون بعض أجزائها حتى طردهم منها سيلكوا ومن الجائز أن سيلكو قد جلب إليها عدداً من الجنود الدناقلة وأسكنهم فيها بقصد تحصين المنطقة ضد قبائل البجا وغيرها من الأعداء ومن المحتمل أن ملوكاً آخرين قد حذو حذوه فكان هؤلاء الجنود هم النواة الأولى لمن جاء بعدهم وانضم إليهم من القبائل المهاجرة من دنقلا [1] .

ويرجع البعض تشابه لهجتي الدناقلة والكنوز إلى العلاقات التجارية الوثيقة بينهم حيث كان الاتصال بين الطرفين يتم بالقوافل والتي تجنبت النيل نسبة لطول مجراه وكثرة جنادله في المنطقة التي تقطنها المجموعات التي تتكلم اللهجة المحسية [٢] .

ويربط ميللت (Millet) ظاهرة الاختلاف بين اللهجات النوبية النيلية بالهجرات النوبية إلى وادي النيل حيث يرى أن معظم المستوطنين الجدد الذين جاءوا إلى وادي النيل في القرون الأولي للميلاد كانوا يتحدثون بلغة تشبه اللهجة التي يتحدث بها الدناقلة والكنوز حتى قدوم المجموعات التي تتحدث بلهجتين المحس والفيدجا وسيطرتها على الجزء الأوسط من المنطقة التي تعرف حالياً ببلاد النوبة في أواخر القرن الثالث الميلادي مما اضطرت المجموعة الأولى للنزوح شمالاً نحو الإقليم الواقع بالقرب من أسوان وجنوباً إلى منطقة دنقلا [٣] .

ونلاحظ في هذه الآراء أنها تجمع على أن منطقة دنقلا هي الموطن الأصلي للهجتين الدنقلاوية والكنزية ويميل الباحث إلى رأى ميللت في تفسيره لوجود اللهجة المحسية في وسط المجموعات التي تتحدث اللهجتين الدنقلاوية والكنزية بالكيفية التي تمت بها الهجرات النوبية التي جاءت إلى وادي النيل ، حيث إن المجموعات المتحدثة باللهجة الدنقلاوية – الكنزية والتي أتت من جهة

---

[1] نفس المرجع ، ص ٣٧ — ٣٨

[2] عطية القوصي ، تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ط ١ ، (مصر : دار المعارف ، ١٩٧٦ م) ص ١٤٢ .

[3] Millet , N . B, Some notes on the linguistic Back ground of modern Nubian , in Trigger , B.G,1966, Opcit , P 23 .

الغرب جاءت في فترات زمنية طويلة بدأت منذ القرن الثالث قبل الميلاد ومن الجائز أن لهجتها تأثرت باللغة المحلية الموجودة في وادي النيل ولما ازداد عددهم بعد القرن الرابع الميلادي نجحوا في نشر لغتهم الشبيهة باللهجة الدنقلاوية في وادى النيل ، أما المجموعة التي عرفت باسم النباطيين والتي جاءت من واحة الخارجة بمساعدة الرومان في نهايات القرن الثالث الميلادي واستقرت في بلاد النوبة السفلي نشرت لهجتها الشبيهة باللهجة المحسية بسرعة لان هجرتهم كانت دفعة واحدة مما أجبرت بعض المجموعات التي تتحدث اللهجة الدنقلاوية – الكنزية بالاتجاه شمالاً إلى جنوب اسوان وجنوباً إلى منطقة دنقلا ، وترتب على هذه الهجرة الجماعية ايضا عدم تأثر لغة هذه المجموعة باللغة المحلية التي كانت موجودة بالمنطقة ، وهذا ربما يفسر تمييز اللهجة المحسية باسم (نوبيين) واللهجة الدنقلاوية باسم (أشكير) والتي قد تعني لغة أهل البلد *.

و من المحتمل أن قيام مملكتي نوباتيا في الشمال وإعتناقها لمذهب الكنيسة المصرية ولغتها القبطية ، والمقرة في الجنوب وإعتناقها لمذهب الكنيسة الملكانية ولغتها الإغريقية (١) ، كان له اثر كبير في تعضيد الاختلاف بين اللهجتين .

وقد أشار إلى هذا الاختلاف الداعية الفاطمي أبي سليم الأسواني الذي زار المنطقة في أواخر القرن العاشر الميلادي بانياً عليه الاختلاف العرقي بين المجموعتين بقوله : " واعلم أن النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل ... " (٢)، ويبدو أن الذي عزز الترابط اللغوي بين سكان الجنوب والشمال ونعني بهما الدناقلة والكنوز التواصل التجاري بين الطرفين ، والهجرات التي تمت من مناطق دنقلا إلى منطقة الكنوز .

* كلمة أشي (Ashay) في اللهجة الدنقلاوية تعني البلد (أنظر : محمد متولي بدر ، مرجع سابق ، ص ٤٠) .

(١) Mnaal . M . O , Opcit , P 19-20 .

(٢) أبو سليم الأسواني ، مصدر سابق ص ٩٨ .

علاقة المجموعات التي تتحدث اللهجات النوبية بكردفان ودار فور بنوبة النيل :

لقد دار الكثير من النقاش حول موضوع علاقة المجموعات التي تتحدث اللهجات النوبية بكردفان ودارفور بنوبة النيل وذلك بناءاً على التشابه اللغوي بينهما ويرى معظم العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع وجود صلة عرقية بين هذه المجموعات ولكنهم اختلفوا في الهجرة هل كانت من كردفان ودار فور إلى النيل ؟ أم من النيل إلى الغرب ؟ .

كما اختلفوا ايضاً في الفترة الزمنية التي تمت فيها هذه الهجرات وسنعرض فيما يلي أهم هذه الآراء :

يرى عدد من العلماء أن اللغة النوبية كانت في الأصل لغة القبائل التي هاجرت من جهة الغرب والجنوب الغربي إلى وادي النيل في القرون الأولى للميلاد ونجحت في نشر هذه اللغة ، ورائد هذا التيار هو العالم النمساوي زيلارتس [(١)] الذي يعتقد أن الموطن الأصلي للنوبيين هو كردفان حيث كانت هنالك دولة مكتظة بالسكان ، قسمت إلي قسمين مجموعة (أ) ، ومجموعة (ب) تبعاً لاختلاف لهجاتها .

وفي القرون السابقة للميلاد نزح جزء من المجموعة (أ) إلى الغرب واستقر في جبل ميدوب واتجه جزء آخر إلى وادي النيل واستقروا بجوار الليبيين الذين كانوا موجودين هناك .

وفي القرن الأول للميلاد هاجرت باقي المجموعة (أ) من كردفان إلى النيل عن طريق وادي الملك واستقر جزء منهم في واحات درب الأربعين بينما سارت الأغلبية إلى منطقة دنقلا ووجدوا هناك إخوانهم السابقين لهم وقد اكتسبوا خلال فترة الانقطاع فيما بينهما ثقافات جديدة ، وان كانت هناك بعض العادات والتقاليد المتشابهة بينهما ويبدو انها مستمدة من منطقة كردفان حيث كانوا يعيشون سوياً

---

(١) محمد عوض محمد ، مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

حتى تركت المجموعة الأولى للمجموعة (أ) المنطقة اثر خلاف فيما بينهما حول ملكية خنزير كان قد قدم قربانا في إحدى المناسبات [١] .

أما المجموعة (ب) والتي كانت ما تزال مستقرة في أوطانها الأصلية هاجرت إلى ارض الجزيرة في أوائل القرن الرابع ونجحت فيما بعد في تقويض مملكة مروى ولكنهم لم يتفقوا مع سكانها ثقافياً والذين كانوا اكثر تحضراً إلى أن دخلت المسيحية المنطقة فارتبطوا مع إخوانهم في الشمال برباط الدين المشترك [٢] .

وخلال فترة المسيحية كانت مملكة دنقلا قد وصلت الذروة ثقافياً وسياسياً واستطاعت فرض سلطانها غرباً وسيطرت على طرق التجارة مع أفريقيا الوسطى وامتد نفوذهم إلي منطقة ميدوب وهذا يفسر حقيقة أن النوبيين القدماء المستقرين في هذه المنطقة كانوا يعتبرون أنفسهم جزءاً من مملكة دنقلا [٣] .

ويؤيد الباحث اللغوي استيفنسون (R..C Stevenson) نظرية زيلارتس في الأصل المشترك لنوبا الجبال ونوبة النيل إذ يرى أن متحدثي اللغة النوبية بدعوا هجرتهم التاريخية من شمال كردفان ودار فور إلى وادي النيل في مراحل مختلفة وحلت لغتهم محل اللغة المروية ثم انتشرت مجموعات منهم تدريجياً في جهة الجنوب ووصلوا إلى الأجزاء الشمالية من جبال النوبا [٤].

وقد تبنى هذا الاتجاه العديد من العلماء المهتمين بالدراسات النوبية مثل كيروان [5] وسامية بشير [6] .

وعلى النقيض من هذا الرأي يرجع بعض العلماء بروز هذه العلاقة اثر تدفق الجماعات العربية إلى بلاد النوبة بعد فتح مصر فتراجع بعض النوبيين أمام

---

(١) السعيد إبراهيم البدوي " النوباوين دراسة أنثروبولوجية" " دراسات أفريقية ، يصدرها معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ع١ ، ١٩٧٢م ، ص ٩٤

(٢) نفس المرجع ، ص ٩٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(4) Stevnson R .C " The Nuba people of kordofan province An Ethnographic Survey"(M .Sc) University of Khartoum ,1965, P8

(5) Kirwan . L.P , L . P , 1939 , Opcit , P 107 .

(٦) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٦م ، مرجع سابق ، ص ١١٧ - ١٢١ .

ضغط العناصر العربية جنوباً واعتصموا بجبـال النوبا ومن القائلين بهذا الـرأي ماكمايكل (MacMicheal) [1] .

ويؤيده في ذلك مصطفي محمد مسعد الذي يرجـح أن بعـض العنـاصر النوبية سواء أكان هذا قبل تدهور مملكة دنقلا أو بعدها ، هـاجرت إلـى بعـض جهات كردفان وفرضت اسمها ولغتها على سكان الجبال دون غيرهم وهذه كـانت واحدة من اللغات الثلاث الموجودة بهذه الجبال ، وما لبث أن أطلق العرب اسـم نوبا على جميع سكان الجبال ، وربما كان هذا راجعاً إلـى أن هـؤلاء النوبيين المهاجرين كانوا عنصراً بارزا مما جعل اسمهم علما على كل الجبال على الرغـم من أن السكان الأصليين لا يطلقون على أنفسهم اسم نوبا[2] .

ويرى هيرزوج (R,Herzoj) أن هذه الهجرات مـن وادي النيـل إلـى الجنوب تمت بعد الفترة المسيحية في بداية القرن السادس الميلادي بنـاءاً علـى ملاحظاته التي أشار فيها إلى وجود بعض المصطلحـات المصريـة والمسـيحية بجبال النوبا [3] .

ويزعم اركل (Arkell) أن هذه الهجرة قد حدثت في القرن الرابع الميلادي عندما هرب النوبيون من وادي النيل إلى الغرب أمام الغـزو الاكسـومى ، وان العادات والتقاليد السـائدة بين قبائل دار فور وكردفـان تؤكـد الـهجرة إلـى الغرب [4].

ويفترض الدكتور السعيد إبراهيم وجود علاقات تجارية وثقافية بين هـذه المجموعات النوباوية والنوبية على النيل تمخض عنـها اكتسـاب بعـض هـذه المجموعات لجزء من اللغة السائدة عند النوبيين وعندما انسحبوا جنوباً أمام ضغط

---

(١) Mac Michael , A,H,1967, Opict P 14

(٢) مصطفي محمد مسعد ، مصدر سابق ، ص ٢٢ .

(3) Herzoj R , Dic Nuier (Berlin ,1957) inTrigger, B. G, 1996, Opict , P 20 .

(٤) Arkell , A. J , Opcit , P 174 .

العرب استقر هولا الذين تأثروا بالنوبيين في الأجزاء الشمالية من المنطقة التـــي يعيشــون فيهــا حالياً [١] .

وفي محاولة لبر بار (K .M,Barbur) لتحليل هذه الآراء خلص منها إلــى انه لا يوجد في الوقت الحالي أي تشابه بين النوبيين سكان جبال النوبا والنوبييـــن على النيل في المظهر أو الحضارة إلا أن الدراسات اللغوية أثبتت أن جزءاً مـــن سكان جبال النوبا يتكلمون لهجة متشابهة للهجات النوبية ، والتفسير المرضى لذلك هو ان النوباويين هم أصلا من النوبيين الذين هربوا نتيجة للهجرات العربية مـــن مناطقهم واستقروا في الجزء الشمالي لجبال النوبا قبل اضمحلال الممالك النوبيـــة واختلطوا مع السكان المحليين والذين هم أصلا من الزنوج فأصبحوا لا يختلفـون عنهم من الناحية الجسدية [٢].

من خلال هذا العرض نلاحظ أن العلماء لم يستقروا على رأى محدد حـول هذا الموضوع فانقسموا إلي مجموعتين الأولى ترى أن اللغة النوبية جــاءت مــع الهجرات النوبية إلى وادي النيل في القرون الأولى للميلاد ، بينما ترى المجموعـة الثانية أن العلاقات اللغوية بين نوبة النيل ونوبا الجبال تعود إلى فترة تقهقر بعض العناصر النوبية جنوباً واعتصامهم بجبال النوبا جراء ضغوط المجموعات العربية التي هاجرت إلى بلاد النوبة ، ولكل مجموعة شواهدها وملاحظاتها التـــي تبـدو منطقية مما جعل الباحث يتبنى رأيا وسطاً بين هذه الآراء فهو يرجـــح أن اللغـــة النوبية هي لغة المهاجرين الذين جاءوا إلى وادي النيل في القرون الأولى للميـــلاد من جهة الغرب والجنوب الغربي فنشروا لغتهم في المنطقة والتي كـــانت اللغـــة المستخدمة فيها هي اللغة المروية إلى جانب بعض اللغات مثل لغةالبليميين ولمـــا نجح هؤلاء المهاجرون في إقامة ثلاث ممالك فـــي وادي النيـــل والتـــي عرفـت بالممالك النوبية في القرن السادس الميلادي أصبحت لغتهم هي اللغة السائدة فـــي وادي النيل وإن كان هناك احتمالاً كبيرا بأن هؤلاء المهاجرين مـــن الجماعـــات

[١] السعيد إبراهيم البدوي ، مرجع سابق ، ص٩٩.

[٢] Barbour , K.M , The Republic of Sudan (London , 1961) P 78 .

القديمة ذات الصلة بوادي النيل يدلنا على ذلك وجود مفردات كثيرة بين اللغتين النوبية القديمة واللغة المصرية القديمة .

وبعد استقرار الأوضاع السياسية في بلاد النوبة أصبحت هذه البلاد قبلة للمهاجرين العرب الذين استولوا على مصر في منتصف القرن السابع الميلادي ثم ازدادت إعدادهم فشكلوا عنصر ضغط على النوبيين مما اضطرت مجموعات منهم إلى هجرة عكسية إلى جبال النوبا بكردفان ودار فور ، ومن المرجح أنها بدأت بصورة واضحة منذ القرن الرابع عشر الميلادي مع بداية الحملات المملوكية لبلاد النوبة وكانت نتيجة هذه الهجرات أن انتشرت اللهجات النوبية في المناطق التي اعتصم بها هؤلاء النوبيون بجبال النوبا ودار فور ، وخاصة أن هذه المناطق كانت معروفة لديهم والطريق كان مسلوكا حيث تشير مخطوطة تاريخ قلاوون أن الأمير النوبي آني قد هرب إلى بلاد الآنج أثناء الحملات المملوكية ولم يمنع المسلمين من المسير خلفه إلا قلة الماء لان الطريق الذي كان عليهم أن يسلكوه كان صحراء [1].

ويرى اركل أن اسم الآنج كان يطلق على سكان شمال كردفان الذين قطنوا المنطقة قبل مجيء العرب [٢] وهذا الاسم يتوافق مع الاسم الحالي للمجموعات التي تتحدث اللهجات النوبية والتي تسكن في الجزء الشمالي الغربي من الجبال وهو اسم الاجانج أو الاجنق مع بعض التحوير [3] ، وهذه الرواية تؤكد أن منطقة غرب السودان كانت تعتبر منطقة آمنة بالنسبة للملوك والأمراء النوبيين يلجأون إليها في وقت الأزمات .

ومن الأسانيد القوية التي تدعم هذا الاعتقاد الروايات الشفهية التي تتداولها المجموعات النوبية في جبال النوبا والميدوب والتي تشير إلى هجرتهم من وادي النيل إلى مناطقهم الحالية ، وبالرغم من أن هذه الروايات تنقصها الوثائق إلا أن تواترها واتفاقها مع الروايات التاريخية يضفي عليها نوعاً من الصحة فالاجانج

---

(١) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص ١٦١ ، - هامش ٧ .

(٢) Arkell , A . J . Sudan , Opcit , P 197 .

(٣) يوسف اسحق أحمد ، مرجع سابق ص ٤٠ .

يرون أن هجرتهم إلى جبال النوبا تمت على فترتين حيث عبرت الدفعة الأولى منهم الصحراء بدءاً من دنقلا إلى منطقة الجبال البحرية في شمال كردفان ثم اتجه جزء منهم إلى شمال دار فور وسكنوا منطقة جبال الميدوب ويعتبر النوبا (مجموعة الاجانج) أن سكان الجبال البحرية والميدوب بشمال دار فور هم أبناء عمومتهم [١] .

أما الهجرة الثانية فقد اتخذت طريق النيل جنوباً بنية اللحاق بمن سبقهم حتى وصلوا إلى منطقة البحراوية ثم عبروا إلى الجزيرة واستقروا في اربجي ومنها عبروا النيل الأبيض حيث ساروا جنوباً حتى فشودة واستقروا بها وتركوا بقايا لهم هناك واندمج جزء منهم في الشلك ثم ساروا غرباً مرورا بشر كيلا حتى منطقة الدلنج حيث استقر بهم المقام إلى اليوم [٢].

وهنالك أيضا العديد من الروايات حول هجرة الميدوب من مناطقهم الأصلية في وادي النيل (مناطق الدناقلة والمحس) إلى غرب السودان حيث يروى البعض أن الميدوب كانوا عائلة مالكة في تلك المناطق وعندما دخل العرب المنطقة هاجرت عائلة الميدوب بزعامة ملكهم احمد المادوب نحو الشمال الغربي واستقروا بواحة العطرون ومنها إلى مراعى وادي المجرور ثم منطقة قرون البقر شمال الحارة وبعدها دخلوا الجبال واستقروا بها [٣].

ويروى فريق آخر أن سبب هجرة الميدوب خلاف نشب بينهم وبين زعيمهم الكبير بمنطقة المحس والدناقلة لفرضه عليهم ضرائب باهظة مما اضطرهم إلى الهجرة [4] ، ويدعى الجميع انهم من أصول محسية [٥] .

والجدير بالذكر هنا أن نفس هذه الروايات سمعتها من عدد من أفراد الميدوب والاجانج بولاية الخرطوم أثناء مقابلاتي لهم بخصوص هذا البحث .

---

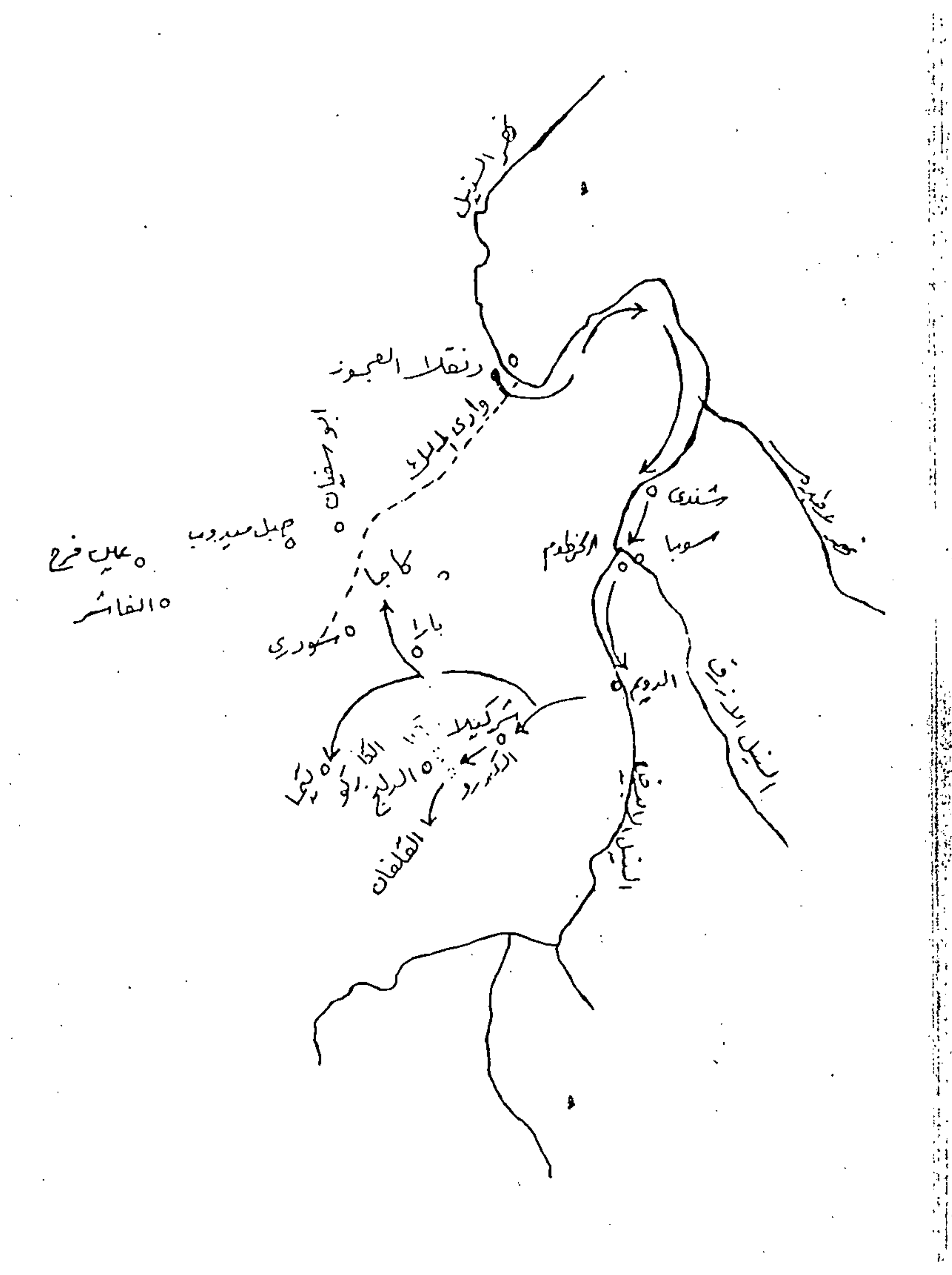
(١) أحمد عبد الله آدم ، مرجع سابق ص ٢٩١.

(٢) نفس المرجع ص ٢٩٢.

(٣) على محمد محمود ، مرجع سابق ، ص ٩ .

(٤) نفس المرجع ص ٩ .

(٥) Mac Michael , A . H , 1918 , Opict , P 45



خــريطة توضح سير هجرة الأجانج (نقلاً عن : يوسف اسحق أحمد ، مرجع سابق ، ص ١٥٧) .

إلى جانب هذه الروايات الشفهية المتواترة فهنالك العديـــد مـــن الأغـــاني التراثية التي تشير إلى موضوع الهجرة وتصف الدور القيادي الذي لعبه الزعمـاء في هذه الهجرة ونورد منها بعض الفقرات لإحدى الأغاني الطويلة عند الاجـــانج والتي ترجمها يوسف اسحق :

كان أدوا نق يقود جماعته وهو قادم من دنقلا
وكان أدوا نق بطـــلاً يلبس في يديه اســـورة
يتقـــدم أدوا نـــق جماعتـــه وكان بطـــلاً
كلما تواجهه صعوبات تغنى له الحكامـــات
وغنت الحكامات لداؤود فارس الزراعة والصيد
وفي حصاد الذرة يكون داؤود في مقدمة الناس(١)

نلاحظ في هذه القصيدة الآتي :

أولا : ورود اسمي داؤود وادوانق ومن المحتمل أن الاسم الأخير تحريف لاسم إدوارد وهذا يشيـــر إلى الأثر المسيحي ويجعلنا نعتقد أن بعضهم وخاصـــة الزعماء ربما كانوا مسيحيين .

ثانياً : تشير القصيدة إلى أن أدوا نق كان يلبس في يديه اسورة وهذه العادة عرفت عند ملوك النوبة المسيحيين (٢) .

كما أن هنالك العديد من الكلمات في لهجة الاجانج تشير إلى أشياء لا توجد في جبال النوبا بينما توجد في بيئة وادي النيل مثل كلمة نيلوم (Nilom) والتـــي تعنى التمساح وهذا يدلنا على صلتهم التاريخية بواد النيل لان الإنسان لا يســـتخدم مفردة للإشارة إلى شي معين إلا إذا وجد في بيئته واللغة أداة للتعبير عن البيئـــة المحيطة بالإنسان (٣) .

ومما سبق فإن كل الدلالات والافتراضات الغامض منها والواضح تشـــير إلى وجود علاقة بين النوبيين في وادي النيل والمجموعات التي تتحدث بلـــهجات

---

(١) يوسف اسحق احمد ، مرجع سابق ، ص ١١٧-١١٨ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١١٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١١٩.

مقاربة لها في جبال النوبا ودار فور ، ولكن بعض الباحثين منهم الدكتور محمد عوض يزعمون أن السلالة النوبية والسلالة النوباوية مختلفتان اشد الاختلاف سواء كان ذلك من ناحية المظهر الطبيعي أو العادات الاجتماعية السائدة في كل من الإقليمين ، فالنوبيون في وادي النيل شعب قوقازي بينما سكان الجبال تغلب عليهم الصفات الزنجية ، أما من الناحية الثقافية فالتباين أيضا كبير حيث يستخدم نوبة النيل الشلوخ كما تفعل القبائل العربية ، ويمارسون الختان للأولاد ، والختان الفرعوني للبنات ، وهذه العادات لا يعرفها سكان الجبال ، بل يمارسون عادات لا يعرفها النوبة مثل خلع القواطع وخرق الشفة السفلي للنساء لكي توضع فيها حلية .

إلى جانب الاختلاف في نوعية الفخار المستخدم عند الشعبين فالفخار النوبي في وادي النيل بشبة الفخار المصري (١) ، ويبدو أن محمد عوض أشار إلى كل سكان الجبال ولم يُراع الاختلاف العرقي الكبير بين سكانها وان غالبيتهم يمثلون أعراقاً زنجية نيليا ، فالمجموعات التي تتحدث بلهجات تشابه اللهجات النوبية النيلية فيها بعض السمات القوقازية كما أن نوبة النيل ليس بالشعب القوقازي الصرف وإنما هو خليط قوقازي زنجي ، لذا فان الحجج التي استند إليها محمد عوض يمكن تفنيدها في النقاط التالية :

أولا: أن العنصر النوبي في الشمال قد تعرض وعبر قرون طويلة لهجرات ومؤثرات خارجية غيرت من ملامحه الأولى و أعطت العنصر الحالي ، وأما الذين هاجروا إلى جبال النوبا في كردفان فقد ظلوا في عزلة تامة ومن المؤكد انهم اختلطوا بالقبائل الزنجية بحكم الجيرة وبذلك تهيا لهم الاحتفاظ بالعنصر النوبي القديم (٢) .

ثانيا: أن دليل اختلاف الفخار يصبح ضعيفا لأنه غير مدعوم بأدلة أخرى مثل الفنون المختلفة والعادات والتقاليد التي عرفها الشعبان في الماضي ، كما أنه يثبت بطريقة غير مباشرة عدم أصالة الفخار النوبي باشارته إلي أنه يشبه الفخار

---

(١) محمد عوض محمد ، مصدر سابق ، ص ٢٨٨ ــ ٢٨٩ .

(٢) محمد متولي ، مصدر سابق ص ٣٠ ــ ٣١ .

المصري مما يوحي بالتأثير الخارجي على تلك الصناعة وبالتالي لا يستخدم كدليل قوى يمكن الاعتماد عليه [١] .

ثالثا: أما الاختلاف في الخصائص الثقافية بين المجموعتين التي ذكرها الدكتور محمد عوض فلا وجود لها إلا في بعض المظاهر التي تفرضها البيئة والتدليل على ذلك يقودنا للحديث عن مفهوم الثقافة وابرز ملامح التكوين الثقافي للنوبيين .

الخصائص الثقافية المشتركة :

يختلف الباحثون والكتاب في تعريف الثقافة ويرجع هذا الاختلاف إلى تنوع تخصصاتهم العلمية واهتماماتهم الثقافية[٢].

ويرى الدكتور على عثمان أن أهم العناصر التي تكون جوهر تعريف الثقافة هي :

١. الإنسان كمصدر رئيسي للحركة والممارسة والسلوك .
٢. أسس ونتائج تفاعل الإنسان مع الآخر كفرد أو كمجتمع .
٣. أسس ونتائج تفاعل الإنسان مع البيئة والمكان[٣] .

أما التعريفات التاريخية للثقافة فهي في مجملها تختار جانبا معينا من الثقافة تمثل التراث الاجتماعي[٤] .

ويلخص الدكتور عمر حاج الزاكي تعريف الثقافة في أنها مجموع السلوك الذي يعطي كل جماعة أو فرد منها شخصيتها أو شخصيته المستقلة[٥] .

---

[١] اسحق يوسف احمد ، مصدر سابق ، ص ٤٤ ــــ ٤٥ .

[٢] على عثمان محمد صالح " الحوار الثقافي كأسلوب لدراسة الثقافة السودانية " الثقافة السودانية ، ع٢٢ ، أبريل ١٩٨٦م ، ص ١١

[٣] نفس المرجع ، ص ١١ .

[٤] هدى مبارك ميرغني ، مدخل لدراسة الثقافة السودانية ، ط ١، (أم درمان: مركز محمد بشير للدراسات السودانية ، ١٩٩٨م)، ص.١٠.

[٥] عمر حاج الزاكي " عوامل الاستمرارية والتصير في ملامح الثقافة السودانية (منطقة وادي النيل الأوسط) " دراسات أفريقية ، ٢٣٤ ، يونيو ٢٠٠٠م ، ص ٥٧.

ويعرفها البعض بأنها أنماط ناشئة عن تطور تاريخي من ناحية ومجموعة من العادات والتقاليد المقبولة لدى جماعة معينة من ناحية أخرى [١].

وهذه العادات والتقاليد هي جزء من كل يطلق عليه علماء الاجتماع ثقافة المجتمع أو حضارته[٢] ، ومن هذا المنظور سنتناول بعض العادات والتقاليد المشتركة بين المجتمع النوبي على النيل والمجموعات التي تقاربها في اللهجات في كردفان ودار فور لعلها تلقى بعض الضوء على الخصائص الاجتماعية المشتركة بين هذه المجموعات ، لأن العادات والتقاليد تشير إلى علاقة ما بين هذه المجتمعات كما أن اختلافها يدل على اختلاف خبراتها وتكوينها الثقافي[٣]، وربما تتشابه عادات وتقاليد المجتمعات القريبة من بعضها نسبة لصلة الجوار وبالتالي يحدث تبادل ثقافي بينهما ، أما المجتمعات المتباعدة فتتباين عاداتها وتقاليدها تباينا كليا أو جزئيا على قدر صلتها بغيرها أو عدمها[٤] .

والملاحظ في المجموعات التي تتحدث اللهجات النوبية أنها تعيش في شبه عزلة فمجتمع الميدوب تحيط به الصحراء من كل جانب ، أو أنها تتواجد في وسط مجتمعات أخرى تختلف عنها في عاداتها وتقاليدها مثل مجتمع الأجانج بجبال النوبة ، ورغم ذلك نجحت هذه المجموعات في المحافظة على خصوصيتها الثقافية والتي تماثل ثقافة المجتمع النوبي على النيل .

التكوين الثقافي للنوبيين :

استقبلت الثقافة السودانية المحلية عدة موجات ثقافية وافدة من الشمال في فترات تاريخية متباعدة نسبيا [٥] حيث كانت مرتبطة بالتكوينات السياسية في شمال

---

(١) رتشارد ماك كيون " موقف الفلسفة تجاه تنوع الثقافات " في أصالة الثقافات ودورها في التفاهم الدولي ، ترجمة : حافظ الجمال (بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٦٣م) من مطبوعات اليونسكو ، ص ٨ .

(٢) ع . ع . تميم " العادات والتقاليد السودانية في ضوء النظريات الاجتماعية " الحكم الشعبي المحلي ، تصدرها وزارة الحكومة المحلية والإسكان وتنمية المجتمع ، السودان ، مج٢ ، ع٣ ، ديسمبر ١٩٧٣م ، ص ٢٢ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٤ – ٢٥.

(٤) ابن السودان " في العادات " النهضة السودانية ، ع٧ نوفمبر ١٩٣١م ، ص ٨ .

(٥) على عثمان محمد صالح ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

وادي النيل وتمثل مملكة كرمة أول حضارة ذات هوية محلية[١] ، ثم نشأت مملكة نبتة أثر وفود بعض الكهنة من طيبة واستقرارهم في المنطقة وكانت الحضارة السائدة فيها هي الحضارة المصرية القديمة وكان دين أهلها وثنيا شأنهم في ذلك شأن رصفائهم المصريين ، أما العهد المروي فكانت الحضارة فيه خليطا من المحلية والفرعونية والرومانية واليونانية ويعزى ذلك إلى أن هذه المملكة عاصرت في فترة من فتراتها حكم اليونانيين والرومان لمصر[٢] .

وبصورة عامة كانت الثقافة في تلك الفترات ذات صبغة دينية[٣] حيث عرف أهل السودان القديم العديد من الآلهة ولعل أهمها وأشهرها الإله آمون (Amon) الذي ارتفع شأنه في عهد الملك امنمحات الأول (٢٠٠٠ ق .م) الذي قربه من الإله رع وسماه (آمون رع) وبذلك أصبح ربا لما يسمى بعرش الأرضين وصارت عبادة الإله آمون رع الدين الرسمي للدولة[٤] ، وشهد العهد المروي ظهور بعض الآلهة المحلية مثل ابيدماك (Pedmak) [٤].

وهذا لا يعني أن أهل السودان القديم كانوا بعيدين عن تأثير الديانات السماوية فهنالك الكثير من الأدلة التي تشير إلى معرفة السودانيين إلى الديانة اليهودية منذ أيامها الأولى فقد وردت في كتاب العهد الجديد رواية تؤكد اعتناق أحد وزراء ملكة مروي والتي كانت تلقب بالكنداكة للديانة المسيحية بعد أن كان يدين باليهودية أثناء زيارته لأورشليم [٥] ،وهذه الرواية أن اليهودية كانت معروفة في السودان القديم وأن عددا كبيرا من المسؤولين في مملكة مروي كانوا يعتنقونها

---

(١) سامية بشير دفع الله ، ١٩٩٨م ، مرجع سابق ، ص ٢١٥.

(٢) مهدى الحامون أبشر " التكوين الثقافي والحضاري لسودان وادي النيل فيما قبل المهدية " الثقافة السودانية : تصدرها مصلحة الإرشاد والإعلام القومي ، وزارة الإرشاد ، السودان ، ع٢٠ ، أكتوبر ١٩٨٣م ، ص ٤.

(٣) نفس المرجع ، ص ٧ .

(٤) عمر حاج الزاكي ،الإله آمون في مملكة مروي (٧٥٠-٣٥٠ ق . م) (الخرطوم : كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ، ١٩٨٣م) ، ص ٧ .

(٤) Adams , W.Y , 1977 , Opict , P 108

(٥) العهد الجديد ، سفر أعمال الرسل ، الإصحاح الثامن ، ص ٢٧ – ٤٠ .

وإلا ما أذنوا لمسؤول كبير أن يسافر لأيام أن لم تكن شهورا ليمارس بأورشليم دينا يجهله من أذنوا له بالسفر (١) .

وعندما هاجرت المجموعات النوبية إلى وادي النيل تأثرت بثقافة سكانها التي كانت في جوهرها وثنية ذات مسحة توحيدية ، حتى بدأت الديانة المسيحية تأخذ طريقها ببطء إلى بلاد النوبة من مصر منذ أواخر القرن الثالث الميلادي(٢) ، ثم ازداد النشاط التبشيري في أخريات القرن الخامس الميلادي ويدلنا على ذلك آثار بعض الأديرة والصوامع المنتشرة في المنطقة (٣) وأصبحت المسيحية الديانة الرسمية للممالك النوبية في القرن السادس الميلادي (٤) إلا أنها لم تكن مؤثرة على عامة الناس وربما يرجع ذلك إلى الحاجز اللغوي الذي لم يمكنهم من فهم وقراءة الأناجيل والطقوس المكتوبة باللغة اليونانية أو يعود إلى أن الدعاة والمبشرين المسيحيين كانوا يجهلون لغة البلاد (٥) .

ثم بدأ الدين الإسلامي يتسرب لبلاد النوبة مع الهجرات العربية والتي بدأت بصورة واضحة بعد اتفاقية البقط وأصبحت الثقافة الإسلامية هي السائدة في المنطقة (٦) .

ورغم ارتباط النوبيين بالحضارة الإسلامية ارتباطا وثيقا إلا أنهم ما زالوا يحتفظون بتراثهم النوبي (٧) المستمد من الديانات السماوية السابقة والوثنية القديمة ونلحظ ذلك في الكثير من العادات والتقاليد التي يمارسها النوبيون ، وسنتناول بعض العادات والتقاليد ذات المدلولات التاريخية كشواهد على إثبات الخصائص الثقافية المشتركة بين النوبيين على النيل والمجموعات التي تتحدث باللهجات النوبية بجبال النوبا ودار فور .

---

(١) حسن الشيخ الفاتح الشيخ قريب الله ، السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة (الخرطوم : المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ب- ت) ، ص ٧٤ .

(٢) مصطفي محمد مسعد ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

(٣) ك . ميخالوفيسكي " انتشار المسيحية في النوبة " إفريقيا ، ج٢ مرجع سابق ، ص ٣٣١ .

(٤) مصطفي محمد مسعد : مرجع سابق ، ص ٧٥.

(٥) حسن الشيخ الفاتح قريب الله ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

(٦) مهدي المأمون أبشر ، مرجع سابق ، ص ٨ .

(٧) عبد المنعم عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ص ٨٨ .

ومن هذه العادات عادة الخفاض الفرعوني * والتي تمارس عند النوبيين على النيل إلى اليوم ، كما أن هذه العادة ما زالت منتشرة عند الاجانج بجبال النوبا بالرغم من أن القبائل المحيطة بها لا تمارسها [1] ، وكذلك عادة ختان الأولاد تمارس عند النوبيين والاجانج * ، ويمارس الميدوب أيضا عادة ختان الأولاد ويصاحبها احتفالات كبيرة [2].

أما عادة الشلوخ كانت منتشرة في وادي النيل بإشكال مختلفة منها الخطوط العمودية الثلاثة * والتي تعرف [illegible] بثلاثة مطارق * ، وهي ما زالت مستخدمة عند النوبيين في وادي النيل وان انحصر أخيرا عند كبار السن ، وهو نفس الشكل الذي يستخدمه الاجانج [6].

---

* يرى البعض أن عادة الخفاض كانت معروفة عند الفراعنة بمصر قبل الميلاد بأكثر من ألف سنة ودخلت السودان عن طريق الفتوحات الفرعونية لبلاد النوبة ، كما أن ملوك النوبة قد استولوا على مصر في زمن الأسرة الخامسة والعشرين مما أدى إلى انتشار عادة الخفاض الفرعوني في وادي النيل (انظر : محمد عبد الرحمن البيلي " عادات الختان في السودان " الحكم الشعبي المحلي ، ع٢ مج ٣ ، نوفمبر ١٩٧٤م ، ص ٥٦)، وتشير الروايات الشفهية المتداولة بين الناس أن سبب هذه العادة يعود إلى أن السحرة والكهنة تنبؤوا لفرعون مصر بميلاد غلام يهدم ملكه ، وهو سيدنا موسى ، فأمر بإجراء هذه العملية بحيث يصعب الاتصال بالنساء جنسياً ، وكان بعض الكاهنات والوصيفات يقمن باختبار دوري على النساء والفتيات فتؤمر الواحدة منهن بالتبول على الرمل فيدل انسياب البول على أنها عذراء أم غير ذلك ؟ وإذا ثبت أنها حامل تعزل في محجر خاص تحت المراقبة تحسباً من أن تلد ولداً يقضي على عرش فرعون ومن هنا أطلق الناس على هذه العادة اسم الخفاض الفرعوني ثم جعلتها النساء دلالة على العفة والعذرية (انظر : جمهورية السودان الديمقراطية ، وزارة الشئون الداخلية ، مصلحة الرعاية الاجتماعية ، بالتعاون مع الهيئة العامة لليونسكو بالخرطوم ، الخفاض والمجتمع ، الكتاب الثاني (الخرطوم ، ١٩٨٤م) ص ٨) .

[1] مقابلة من مجموعة من أبناء الاجانج ، الخرطوم ،سوق الوحدة ، بتاريخ ٥ اغسطس ٢٠٠١م .

* هذه العادة كانت معروفة عند شعوب وادي النيل ،وتشير روايات الاجانج الشفهية أن عادة ختان الأولاد التي يمارسونها كانت معروفة عند أسلافهم منذ أن كانوا بوادي النيل ثم أحضروها معهم إلى جبال النوبا عند هجرتهم (انظر : يوسف اسحق احمد ، مرجع سابق ، ص ٩٤) .

[2] علي محمد محمود ، مصدر سابق ، ص ٢٦.

* [illegible]

* عرفت هذه العادة في الجزء الشمالي من السودان القديم منذ العصر المروي على اقل تقدير استنادا على الاكتشافات الاثرية التي عثر عليها حتى الآن (انظر : يوسف فضل حسن ،الشلوخ اصلها ووظيفتها في سودان وادي النيل الأوسط ،ط ١ (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ،١٩٧٦م) ص ٢٤).

(٦) مقابلة مع مجموعة من أبناء الاجانج ، الخرطوم ، بتاريخ ٥/أغسطس ٢٠٠١م .

ومن العادات التي تعود إلى الفترة المسيحية عادة أربعين الولادة * والتي مـــا زال يتمسك بها النوبيون في الشمال [١] ، والأجانج في جبال النوبا [٢]وكذلك الميــدوب بدارفور[٣] .

خلاصة

أن كثير من الدلائل تشير إلى وجود علاقة عرقية بين المجموعات النوبيـــة على النيل والمجموعات التي تتحدث بلهجات نوبية في بعض مناطق كردفان ودار فور فبجانب الروايات الشفهية فان الخصائص الثقافية المشـــتركة التـــي أوردنـــا بعضها تعضد الدليل اللغوي في الأصل المشترك لهذه المجموعات.

الملاحظ أن هذه العادات والتقاليد رغم انتشار الثقافة الإســـلامية مرتبطـــة بالفترة المسيحية والعصور السابقة لها مما يشير إلى أن مصدر هذه الثقافة منطقـة جغرافية واحدة ، كما ترجح كفة الرأي القائل بأن هجرات النوبيين من وادي النيل إلى مناطقهم الحالية بجبال النوبا بكردفان وشمال دار فـــور تمـــت بعـــد الفـــترة المسيحية لأن كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم كما أسلفنا يظهر فيها الأثر المسيحي .

* يرى الأب فانتيني أن هذة العادة قد تعود إلى طقوس مسيحية فالتقليد الخاص باربعين الولادة ما زال متبعا في بعض الكنائس الشرقية بمصر واثيوبيا (انظر : ج. فانتيني ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠-٢٠١) .

[١] ج. فانتيني ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

[٢] يوسف اسحق ، مرجع سابق ، ص ٩٢ .

[٣] على محمد محمود ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .


الخاتمة

الخاتمة

استقرت الجماعات البشرية في السودان القديم ، ونعني به ذلك الجزء من وادي النيل الممتد من أسوان شمالا إلي جنوبي التقاء النيلين الأبيض والأزرق جنوبا ، منذ عصور سحيقة ترجع إلي سنة (٥٠٠٠ ق . م) على اقل تقدير ، وكانت هذه المنطقة محطا لهجرات بشرية عديدة تمازجت مع بعضها البعض خلال هذه الفترات الزمنية الطويلة وقامت في أرضها حضارات عظيمة .

وقد كان للموقع الجغرافي للسودان أثرٌ كبيرٌ في تكوينه البشري فمن الشمال عن طريق برزخ السويس دخلت الهجرات السامية منذ اقدم العصور وعن طريق البحر الأحمر كانت الهجرات من الجزيرة العربية إلي المنطقة مباشرة وكان نهر النيل نفسه والذي ربط إفريقيا بالبحر الأبيض المتوسط طريقاً هاماً تتبعه الهجرات البشرية شمالا وجنوبا ، وكذلك لعبت الصحراء الواقعة في شرقي النيل وغربيه في ربط أجزاء المنطقة لان الهجرات البشرية كانت تتبع في طريقها الوديان التي توصلها بالنيل ، لذا يرى العلماء أن هذه المنطقة منطقة التقاء للسلالات البشرية منذ اقدم العصور .

وحملت المنطقة أيضا أو بعض أجزائها أسماء كثيرة في هذه الفترات التاريخية المتعاقبة ومن الأسماء التي عرفت بها المنطقة في العصور الوسطى اسم بلاد النوبة وربط معظم الباحثين هذا الاسم بالهجرات البشرية التي أخذت تتدفق إلي وادي النيل منذ القرن الثالث قبل الميلاد .

أما التاريخ اللغوي للسودان فما زال مجهولا في فتراته الأولى لدى العلماء ، وعندما بسطت المملكة المصرية الحديثة حكمها على المنطقة قامت بنشر الثقافة المصرية فيها وأصبحت اللغة المصرية القديمة وخطها الهيروغليفي هي اللغة الرسمية لدى ملوك نبتة ، ويبدو أن اللغة المصرية القديمة لم تكن لغة العامة لدى السكان الوطنيين لان هنالك كثيراً من الدلائل تشير إلي وجود لغات محلية كان يتخاطب بها الناس في السودان القديم وظلت هذه اللغات غير مكتوبة لقرون طويلة من الزمن ثم صارت إحداها على الأقل تكتب في وقت ما بين القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وعرفت فيما بعد باللغة المروية ، وبعد سقوط مملكة

مروي في القرن الرابع الميلادي بدأت اللغة النوبية في الظهور ، وعندما قامت الممالك النوبية في القرن السادس الميلادي حلت اللغة النوبية محل اللغة المروية وصارت اللغة الرسمية للبلاد وعرفت طريقها إلي الكتابة في أواخر القرن العاشر الميلادي ، ومازالت هذه اللغة متداولة إلي اليوم عند النوبيين في شمال السودان وجنوب مصر وعند الاجانج في جبال النوبا والبرقيد والميدوب بدار فور وتعرف باللهجات النوبية ، وقد عكف الباحث على دراسة الدلالات التاريخية لهذه اللهجات متخذا اللهجة الدنقلاوية موضوعا لبحثه وخرج **بالنتائج التالية** :

أولا : يربط الكثير من الباحثين انتشار اللغة النوبية في وادي النيل بهجرات الجماعات البشرية التي أطلق عليها اسم النوبة في المنطقة في القرون الأولى للميلاد والتي جاءت من جهة الغرب والجنوب الغربي ، وهناك احتمال كبير بأن النوبة من الجماعات القديمة ذات الصلة بوادي النيل.

ثانيا : هنالك الكثير من الشواهد التي تشير إلي أن اللهجة الدنقلاوية هي اقرب اللهجات إلي اللغة النوبية القديمة والتي جاءت مع الهجرات النوبية الأولى ، إذا أخذنا بصحة الرأي القائل بان أصحاب هذه اللغة هم النوبيون ، وانتشرت في مناطق دنقلا ثم امتدت شمالا إلي جنوب مدينة أسوان المصرية ، ثم جاءت بعدها المجموعات النوبية من واحة الخارجة بواسطة الرومان في أواخر القرن الثالث الميلادي ، والتي ربما كانت تتحدث بلغة تشبه اللهجات المحسية ، الأمر الذي يفسر وجود اللهجة المحسية بين اللهجتين الدنقلاوية والكنزية المتشابهتين ومن الراجح أن الذي عزز هذا التشابه بين اللهجة الدنقلاوية في الجنوب واللهجة الكنزية في الشمال العلاقات التجارية الوثيقة بين الطرفين إلي جانب هجرات بعض المجموعات الدنقلاوية من مناطق دنقلا إلي مناطق الكنوز بجنوب مصر .

ثالثا : أن التشابه بين اللهجة الدنقلاوية ولهجة الإجانج بجبال النوبا ولهجة البرقيد بدار فور يؤيد الاعتقاد بان هذه الجماعات كانت تقطن وادي النيل والراجح أن هذه المجموعات هاجرت إلي جبال النوبا وشمال دار فور اثر ازدياد الهجرات العربية إلى بلاد النوبة في القرن الرابع عشر الميلادي ، ويعضد هذا الرأي المصادر الشفهية المتواترة والتي تعتبر من المصادر المهمة لدراسة هذا

الموضوع لأنها تتفق في كثير من الحقائق مع الروايات التاريخية وأراء المؤرخين .

إلي جانب الخصائص الثقافية المشتركة بين المجموعات التي تتحدث اللهجات النوبية بجبال النوبا ودار فور ونوبة النيل .

أما التباين في المظهر الطبيعي بين المجموعتين فيمكن أن نرده إلي أن النوبيين المقيمين على النيل اختلطوا بغيرهم من الشعوب مثل المصريين والعرب والأتراك مما نتج عنه تولد عنصر جديد يختلف عن العناصر القديمة ، بينما سكان الجبال في كردفان فقد ظلوا في شبه عزلة تامة ولم يتح لهم الاتصال بالعالم الخارجي ومن المحتمل انهم اختلطوا بالقبائل الزنجية بحكم الجيرة .

توصيات البحث :

وأخيرا يوصي الباحث بالآتي :

أولا : المحافظة على اللهجة الدنقلاوية ~~وذلك بتدوينها وتوثيقها~~ وخاصة أن هذه اللهجة معرضة للاندثار وذلك حتى يتسنى للباحثين والدارسين الاستفادة منها لان اللغة هي لسان حال المجتمع وإحدى الركائز المهمة لدراسة التاريخ الحضاري والفكري لأي أمة ، ونقترح أن يتم ذلك بطريقتين :

الأولى : كتابة وتدوين هذه اللهجة .

الثانية : تدريس هذه اللهجة ووضعها في المناهج التعليمية لان هذه اللهجة تعتبر من اللهجات السودانية القديمة إن لم نقل أقدمها .

ثانيا : العمل على جمع التراث الاجتماعي والثقافي النوبي بكل أشكاله بطرق علمية لتتوفر للباحثين والدارسين مادة ثرية تعينهم في دراساتهم في المستقبل .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع

أـ المصادر والمراجع باللغة العربية :

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس .
- البلاذري ، أبي الحسن أحمد بن محي الدين ، فتوح البلاد ، (بيروت : دار الهلال ، ١٩٨٨م) .
- المسعودى ، أبي الحسن علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد المجيد ، الطبعة الرابعة ، الجزء الثاني (القاهرة : دار السعادة ،١٩٦٤م) .
- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الإرب ، نقلا عن مصطفي محمد مسعد ،في المكتبة السودانية العربية ، مجموعة النصوص والوثائق الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطي ، الطبعة الأولى (الخرطوم ، ١٩٧٢) طبع بمطابع جامعة القاهرة بالخرطوم .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، المجلد الخامس (بيروت ، دار الكتاب اللبناني للطباعة ، بدون تاريخ نشر) .
- أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : محمد حلمي أحمد ، الجزء الأول ، القسم الثاني (القاهرة : المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٩٦٢ م).
- المقريزي ، تقي الدين أبي العباس أحمد ، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الأول (القاهرة ، مؤسسة الحلبي وشركاوه للنشر والتوزيع ،بدون تاريخ نشر) .
- الأرمني ، أبو صالح ، تاريخ أبو صالح الأرمني نقلا : عن مصطفي محمد مسعد ، المكتبة السودانية العربية .

♦ الأب ، ج . فانتيني ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبيـــة القديمـــة والسودان الحديث (الخرطوم ، ١٩٧٨) .

♦ التونسي ، محمد بن عمر ، تشحيذ الأذهان بسيرة بـــلاد العـــرب والسودان ، تحقيق : محمود عساكر ومصطفي محمد مســعد (القــاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٦٥م) .

♦ الصياد ، محمد محمود ، محمد عبد الغنـــي مســعود ، الســـودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري (القاهرة ، ١٩٦٦م) .

♦ ابن جني ، أبي الفتح عثمان ، الخصائص ، جمع وتحقيق : محمـــد علي النجار ، الطبعة الثانية ، الجزء الأول (بيروت : دار الهدى للطباعـــة والنشر، بدون تاريخ نشر) .

♦ الزاكي ، عمر الحاج ، الإله آمون في مملكة مـروي (٧٥٠ – ٣٥٠) ، الطبعة الأولى (كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ، ١٩٨٣م) .

♦ آدم ، أحمد عبد الله ، قبائل السودان نموذج التمـــازج والتعـــايش ، (الخرطوم ، بدون معلومات نشر) .

♦ بشير ، كمال محمد ، خاطرات مؤتلفات في اللغة والثقافة (القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تاريخ نشر) .

♦ بكر ، محمد إبراهيم ، تاريخ السودان القديم (القـــاهرة : مكتبـــة الانجلو المصرية ، ١٩٩٨م).

♦ ج . هــ . غرينبيرغ " تصنيف لغات أفريقيا " في تـــاريخ أفريقيـــا العام، تحرير : جون أفريك (باريس اليونسكو ، ١٩٨٣ م) .

♦ ج . لكلان " إمبراطورية كوش (نبتا ومروي) "في تاريخ إفريقيـــا العام، إشراف : جمال مختار ، المجلد الثاني (إيطاليا : أونتريال للطباعـــة والنشر ،١٩٨٥م) .

♦ دفع الله ، سامية بشير ، تاريخ الحضارات الســـودانية منـــذ أقـــدم العصور وحتي قيام مملكة نبتة (الخرطوم ، دار هـــايل للطباعـــة والنشـــر والتغليف ، ١٩٩٨م) .

- حسن ، يوسف فضل ، الشلوخ أصلها ووظيفتها في ســودان وادي النيل الأوسط ، الطبعة الأولى (الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للطباعـــة والنشر ، ١٩٧٦م).
- حامد ، السيد أحمد ، النوبة الجديدة ، دراســـة فـــي الأثربولوجيـــا الاجتماعية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، بدون تاريخ نشر) .
- حمزة ، محمد عوض الله ، لغة الأسماء في إقليم كرمـــة / كريمـــة (الخرطوم ، ١٩٩٩م) .
- حسن ، سليم ، مصر القديمة ، الجزء العاشر (القاهرة ، ١٩٥٥م)
- ك . ميخالوفيسكي " انتشار المسيحية في النوبة " في تاريخ إفريقيـــا العام ، أشراف : جمال مختار ، المجلد الثاني (إيطاليا : أونتريال للطباعـــة والنشر ، ١٩٨٥)
- كامل ، عبد العزيز ، دراسات في الجغرافية البشـــرية للســـودان (مصر : دار المعارف ، ١٩٧٢م) .
- مرغني ، هدى مبارك ، مدخل لدراسة الثقافة السودانية ، الطبعـــة الأولى (أم درمان : مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، ١٩٩٨م) .
- محمود ، حسن سليمان ، جلال الجاويش ، تاريخ الســـودان فـــي العصور القديمة (القاهرة : مكتبة مصر ، بدون تاريخ نشر) .
- مسعد ، مصطفي محمد ، الإسلام والنوبة في العصور الوسطي ، (القاهرة ١٩٦٢م) .
- ـــــــــــــ ، المكتبـــة الســـودانية العربيـــة ، مجموعـــة النصوص والوثائق الخاصة بتاريخ السودان فـــي العصـــور الوســـطي ، الطبعة الأولى (الخرطوم ، ١٩٧٢) طبع بمطابع جامعة القاهرة بـــالخرطوم .

- محمد ، محمد عوض ، السودان الشمالي سكانه وقبائله ، الطبعة الثانية (القاهرة : لجنة التأليف والنشر ،١٩٥٦م) .
- س . ياكوبيلسكي " النوبة المسيحية في أوج ازدهارها وحضارتها " في أفريقيا العام ، أشراف : جمال مختار المجلد الثاني (إيطاليا : أونتريال للطباعة والنشر ، ١٩٨٥م) .
- عبد الله ، عبد القادر محمود ، اللغة المروية ما هي ؟ابجديتها ،طبيعة كتابتها ، قصة فك رموز خطها ، ط ١ ، ج١ ، (الرياض ،١٩٨٦م)
- عبد الجليل ، الشاطر بصيلي ، تاريخ حضارات السودان الشرقي والأوسط من القرن السابع إلي القرن التاسع عشر للميلاد (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م) .
- عثمان ، الأمين محمود محمد ، سلطنة الفور الإسلامية (١٤٠٠ – ١٩١٦ م) دراسة تحليلية ، الطبعة الأولى (الخرطوم ، ٢٠٠٠م) .
- عبد الغفار ، سراج الدين ، الصراع في جبال النوبا ، الطبعة الأولى (الخرطوم : جامعة افريقيا العالمية للطباعة والنشر ، ١٩٩٧م) .
- صبحي ، جورجي ، قواعد اللغة المصرية القديمة (القاهرة ١٩٥٥م) .
- شابيرد ، هاري ، نظرات في الثقافة ، ترجمة : محمد علي العريان (القاهرة ، نيوثيورك : مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشو ، ١٩٦١م) .
- شريف ، نجم الدين محمد ، " النوبة قبل نباتا (٣١٠٠ – ٧٥٠ ق . م)" في تاريخ إفريقيا العام الجزء الثاني (إيطاليا : أونتريال للطباعة والنشر ١٩٨٥م) .
- شقير ، نعوم جغرافية وتاريخ السودان ، الجزء الأول (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٧م)

♦ قريب الله ، حسن الشيخ الفاتح ،السودان دار الهجرتين الأولى والثانية للصحابة (الخرطوم المؤسسة العامة للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان).

♦ ريتشارد ماك كيون " موقف الفلسفة تجاه تنوع الثقافات" في : أصالة الثقافات ودورها في التفاهم الدولي ، ترجمة : حافظ الجمال (بيروت : دار الفكر العربي ، ١٩٦٣م) من مطبوعات اليونسكو .

ب- الرسائل العلمية غير المنشورة :

♦ احمد ، أسماء محمد إبراهيم "مقترح لكتابة اللغة النوبية " (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة الخرطوم ، معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية ، فبراير ٢٠٠٢م .

♦ أحمد ، يوسف اسحق ، " الماضي المعاش في جبال النوبة (منطقة الأجانج) " (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية التربية ، جامعة الخرطوم ، فبراير ١٩٩٧م .

♦ إدريس ، محمد مهدي ، " البنيات الاجتماعية والثقافية في حضارة ما بعد مروي (٣٥٠ - ٥٨٠ م) " (رسالة دكتوراة) ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ، يوليو ٢٠٠٠م .

♦ يسين ، طيبة محمد عثمان " زخرفة المنزل في النوبة " (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، قسم الترجمة ، جامعة الخرطوم ، ١٩٩٩م .

♦ كنتول ، عطا محمد احمد "الإسلام والتبشير المسيحي في جبال النوبا (١٩٣٢م - ١٩٥٦م)" (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة أمدرمان الإسلامية ، كلية الآداب ، ١٩٩١م .

♦ خاطر ، مكاوي علي ، "عمالة دنقلا في عهد دولة المهدية (١٣٠٢-١٣١٤هـ، ١٨٨٥ - ١٨٩٧م) " (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب ، جامعة أم درمان الإسلامية ، ٢٠٠٠م .

ج- الدوريات :

◆ الياس ، أحمد " صلح عبدالله بن أبي السرح مع مملكة نوباتيا عام ٣١هـ /٦٤١م " حروف ، العدد الثاني مزدوج ديسمبر /مارس ١٩٩١/١٩٩٠ ، ص ١١٥ .

◆ النور، أسامة عبد الرحمن " العلاقات السودانية المصرية القديمة " الخرطوم ، العدد الرابع ، يناير ١٩٧٠م ، ص ٨١-٨٢ .

◆ البدوي ، السعيد ابراهيم "النوباويين ، دراسة انثروبلوجية " دراسات افريقية ، يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية ، العدد الاول ،١٩٧٢ م ، ص ٩٩ .

◆ ابن السودان ، "في العادات" النهضةالسودانية ، العدد التاسع ، نوفمبر ١٩٣١م ص ١٣ .

◆ القباني ، عبد الفتاح صالح "قبيلة الاجانج" المجلس ، العدد الثامن والتسعون ، نوفمبر ١٩٥٩ م ، ص ٥١ .

◆ ابشر ، مهدي المامون " التكوين الثقافي والحضاري لسودان ووادي النيل فيما قبل المهدية " الوثائق ، العدد الثاني ، اكتوبر ١٩٨٣م ، ص ٤-٩ .

◆ البيلي ، محمد عبد الرحمن " عادات الختان في السودان " الحكم الشعبي المحلي ، العدد الثاني ، المجلد الثالث ، نوفمبر ١٩٧٤م ، ص ٥٦ .

◆ بانقا ، محمد يوسف ، عبد المنعم عبد الرحمن "ديناميكية الثقافة ،دور التنمية الاقتصادية" الثقافة السودانية ، نوفمبر ١٩٧٦م ص ٨٦ .

◆ ب . ل. شيني "بلاد النوبة في العصور الوسطى " ترجمة: نجم الدين محمد شريف ، كتابات سودانية ، يصدرها مركز الدراسات السودانية ، العدد السادس عشر ، يونيو ٢٠٠١م ، ص ١٦-١٨ .

◆ دفع الله ، سامية بشير " النوبة ..الأصل والتاريخ " دراسات إفريقية ، يصدرها مركز البحوث والترجمة بجامعة أفريقيا العالمية ، العدد الرابع عشر ، يناير ١٩٩٦م ، ص ١١٧-١٣٤ .

- ــــــــــــــــــــــــ "التعريف بتاريخ السودان القديم " دراسات سودانية ، يصدرها معهد الدراسات السودانية ، العدد الاول ،المجلد العاشر ، ابريل ١٩٩٠م ، ص ٨٠-٨٣ .
- ــــــــــــــــــــــــ " اللغة المروية " الوثائق ، العدد الثاني ، يناير ١٩٧١م ص ٩٠-١٠٠ .
- حاكم ، أحمد محمد علي "النوبة وتاريخ السودان القديم" كلية الاداب ، تصدرها كلية الاداب بجامعة الخرطوم ، العدد الرابع ، يوليو ١٩٩٨١م ، ص ٨٣- ٨٧ .
- حسن ، يوسف فضل "المعالم الرئيسية للهجرة العربية إلي السودان " المجلة التاريخية المصرية ، تصدرها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ، المجلد الثالث عشر ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .
- يوسف ، حسب الله "النوبيون قبل الطوفان " الخرطوم ،العدد الثالث ، يناير ١٩٧٤م ، ص ٥٥ .
- يوسف ، كامل "النوبة وأوطانهم عبر التاريخ" الوثائق ، العدد السادس ، ١٩٦٧م ، ص١٣٠ .
- محمد ، محمد مهدي ، زكريا علي احمد " بعض ملامح التراكيب والصيغ النوبية في اللهجة العربية " دراسات سودانية ، العدد الأول ، المجلد العاشر ، ابريل ١٩٩٠م ، ص ٢ – ٣ .
- عثمان ، عبد الرحمن احمد "الجاليات العربية والاسلامية في افريقيا " دراسات افريقية ، العدد الثامن ، ديسمبر ١٩٩١م ، ص ١١٠-١١١ .
- ع . ع . تميم "العادات والتقاليد السودانية في ضوء النظريات الاجتماعية " الحكم الشعبي المحلي ، تصدرها وزارة الحكومة المحلية والإسكان وتنمية المجتمع بالسودان ، العدد الثالث ، المجلد الثاني ، ديسمبر ١٩٧٣م ، ص ٢٢- ٢٥ .
- عبد الله ، عبد القادر محمود "كتابة اللغة المروية " كلية الآداب ، تصدرها جامعة الخرطوم ،العدد الاول ،اكتوبر ١٩٧٢م ، ص ١٢٢-١٤٠ .

- عبد الغني ، عبد الحي "اللغات الدارفورية" الخرطوم ، العدد التاسع ، يونيو ١٩٦٧م ، ص ٤٧ .
- صالح ، علي عثمان محمد "الحوار الثقافي كأسلوب لدراسة الثقافة السودانية " الثقافة السودانية ، العدد الثاني والعشرين ، ابريل ١٩٨٦م ، ص ١١ .
- قسم السيد ، علي احمد "تاريخ وجغرافية بلاد النوبة من خلال النقوش المصرية القديمة" دراسات سودانية ، العدد الأول والثاني / مزدوج ، المجلد التاسع ، ديسمبر ١٩٨٩م ، ص ٩٦ – ١٠٦ .

د- الإصدارات الرسمية :

* المديرية الشمالية : وزارة الثقافة والإعلام ، النشاطات البشرية والموارد الطبيعية (الخرطوم , ١٩٧٢م) .

* جمهورية السودان ، وزارة الشئون الداخلية ، مصلحة الرعاية الاجتماعية ، بالتعاون مع الهيئة العامة لليونسكو بالخرطوم ، الخفاض والمجتمع ، الكتاب الثاني (الخرطوم ، ١٩٨٤م) .

هـ-: مقابلات

- مقابلة مع مجموعة من أبناء جبال النوبا ، منهم احمد عجبنا إسماعيل ، سوق الوحدة ، الخرطوم ٢سبتمبر ٢٠٠١م .
- مقابلة مع مجموعة من أبناء المحس ، منهم إدريس محمد بلال ، الخرطوم بحري ، ٩ سبتمبر ٢٠٠١م.
- مقابلة مع مجموعة من أبناء الميدوب ، منهم عبد الحميد محمد احمد ، السوق العربي ، الخرطوم ٣ أكتوبر ٢٠٠١م.

ثانياً : المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية

أ- المصادر والمراجع :

- Arkell , A . J , Ahistory Of Sudan From The Earliest Times To 1821 (London , 1955) .
- Adams , W . Y , Nubia A corridor To Africa (London , 1977) .
- ________ , Post – Pharaonic Nabian, in the Light of Archacology , J.E.A, 1964, PI.6.
- Barbour , K .M , The Republic of Sudan (London , 1961) .
- Bell.H , An extinct Nubian Language in Kordofan , S.N.R, 54, 1973, P76-76 .
- Firth , C . C . M , The Archaeological Survey Of Nubia Report For 1910 – 1911 , (Cairo , 1927) .
- Hilleson ,S, Nubian Origins S .N .R ,Vol XIII , 1930 , PP 137-148 .
- Hawksworth , D , The Nuba Proper Of Korddfan , S. N . R ,Vol XV , Pa ll ,1932, P 159 –160.
- Henderson , K . D . D , Nubian And Dbub , S . N . R , Vol XIII , 1935 , PP 325 – 326 .
- Kirwan , L . P , The Oxford University Excavations At Firka , (London , 1939) .
- Kirwan , L . P , The Oxford University Excavations In Nubia 1934-1935 J .E .A , Vol XXI , Pa ll , 1935 , P197 .
- Lampen , E , Ashort Account Of Meidob , S . N . R , Vol 11 , 1928 , PP 55 – 67 .
- Murry , G . W , An English – Nubian Comparative Dictionary , Vol 1V , (Newyork , 1966) .
- Mac Diarmid , P . A , and Mac Diarmid , D .N , The Languages Of The Nuba Mountains , S . N . R , Vol XIX , 1931 , P 150-159 .
- Mac Micheal , H . A , Ahistory Of Arabs In The Sudan , (Edinburgh , 1967) .
- ________ , Nubian Elements of Darfur , S .N .R Voll , 1918 , PP30 – 48
- ________ The Zaghawa And People Of Jebel Meidob , J .R .A , Vol37 , 1909 , P 335-336 .
- Nadel , S . F , The Nuba , (London , 1947) .
- Starbo , The Gography Of Starbo , Trans H . L Gones , ed2 Vol, (London , 1959) .

- Steffen , W , Africa In Antiquity , Pall , (The Brooklyn Museum , 1978) .
- Trigger , B . G , "The Language Of The Northern Sudan" J . A . H , Vol7 , 1966 , P 20-25 .
- ________ Nubian Under Pharaohs (London , 1976)

ب – الرسائل العلمية غير المنشورة باللغة الإنجليزية :-

- Mnaal , M .O , " The Archeoclcolgia Of The Nile Nubian, Languge" (M.A) Instute Of African And Asian Studies " University Of Khartoum , 1994 .
- Stevenson , R.C "The Nuba People of Kordfan Province An Ethnographic Survey" (M.Sc) , University of Khartoum , 1965 .